صوت الجيل
Sawtalgeel

17

العدد 17 من الإصدار الجديد 2023

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

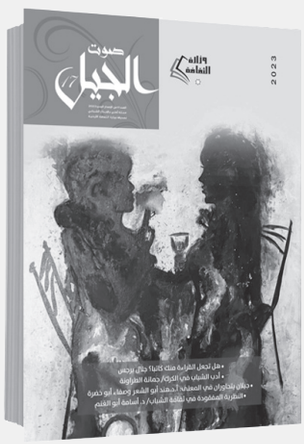

وزارة الثقافة

غلاف العدد

لوحة الغلاف للفنانة: سيرين الخصاونة/ الأردن

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18–35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة
E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرّ عن آراء كُتّابها
ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتـويـات

البوابة الرقمية

- عتبة ..... جـــلال بـرجـــس 4
- حقوقُ الإنسان في ظلّ التطوّر الرقميّ ..... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

- شبابٌ مُبدِعون من الكرك أحلامٌ إبداعيّةٌ شبابيّةٌ مشروعةٌ ..... إعداد: جمانة الطراونة 16
- نحتاجُ الكثيرَ لنستمرّ ..... رويدة الضمور 18
- أثرُ التاريخ... خطواتُ الكتابة ..... علي الخرشة 20
- لهذه المدينةِ سحرُ الآسِرِ ..... محمود المحادين 22
- تاريخُ محافظتي زاخرٌ بالأحداث والقصص..... تامر الحباشنة 24
- للكرك حضورٌ جماليٌّ يمدّ الشاعر بطاقة عالية ..... عروة المصاروة 27
- جبالُ الكرك أول إلهاماتي وأعلاها ..... ليان الطراونة 30

ملتقى الأجيال

- جيلان يتحاوران في المعنى .. هند أبو الشعر وصفاء أبو خضرة .....حوار: صفاء أبو خضرة 33

وردة بلدي

- خَجَلٌ مرضيٌّ ..... مروان البطوش 44
- حين غنّى آينشتاين: إيمتى الزمان (ده)، يسمح يا جميل؟ ..... زينة المعاني 46
- نحيب ..... سماح موسى 48
- في البَدْءِ كانَتِ الكلمة ..... وائل مكاحلة 50

17
العدد 17 من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

2023

contents

- عَينٌ حمد ..... مرام رحمون 52
- غالية ..... تغريد أبو شاور 55
- الأمهات ..... رقية المعايطة 57
– الفرصة الأخيرة ..... آسيا الطعامنة 58

خرائط البوح
- قرويٌّ مسكونٌ بالدهشة ..... محمد عبد الكريم الزيود 62

المختبر
- الموتُ المعادلُ الموضوعيّ للحياة في رواية (ماندالا) للكاتب مخلد بركات ..... إيمان عطير 66
- تكنولوجيا الاتّصالات.. ترسمُ خريطةً جديدةً للأدب ..... أماني المبارك 69
- المحاولةُ والخطأ.. النظريّة المفقودة في ثقافة الشباب ..... د. أسامة خالد أبو الغنم 73
- الكتابةُ بينَ الخيالِ والشعريّةِ في قصة «المرأة التي قرأت الجهات» ... د. محمد حسين السماعنة 75

مراسيل
أدبُ الشّباب في تونس.. الرّاهنُ القلِقُ والرّهانات الواجبة ..... لطفي الشابي 82

نقوش
- إربد.. لوحةُ البساطةِ العميقةِ ..... مها الطاهات 90

عتبة

هل تجعلُ القراءةُ منك كاتبًا؟

حين وجدتُني أستغرقُ في القراءة في تلك المرحلة المُبكِّرة من عمري، وأدمنها على صعيد الفعل السلوكيّ، لم أكن أفكّر في أن أصبح كاتبًا، كنتُ فقط أنتمي لذلك الإحساس الطاغي من الانتقال من عالَم الواقع المحدود بالمعنيينِ البصريّ والملموسّ، بكلّ ما يتوفّر فيه من احتمالات القسوة، إلى عالَم الخيال الفسيح الهانئ والحميميّ.

كانت ممارسة روحيّة لشكل فريد من أشكال السفر إلى بلدان، وأناس، وأفكار، وأحداث، وأزمنة جديدة. لكي يحلمَ المرءُ – كما يقول ميشيل فوكو – فهو ليس في حاجة إلى أن يغمضَ عينيه، بل عليه أن يقرأ، ولكي يكونَ صادقًا مع نفسه – كما قال الكاتب الأمريكي سالينجر – يحتاج على الأقل إلى ساعة من الكتابة.

أتذكّر أنّي بعد قراءتي لأول كتاب في حياتي، وكان رواية (البؤساء) لـ(فيكتور هوغو)، وكنتُ صغيرًا في العمر آنذاك، صعدتُ إلى رأس شجرةِ سروٍ أريد أن أرى (باريس)، كان ذلك في زمن القرية التي كنتُ أعتقدُ أنَّها هي العالم، وما بعدها لا شيء.

ومع مرور الأيام اكتشفتُ أنَّ الغرض الذي كان يقفُ وراء انخراطي اليوميّ في عالم القراءة، كان مختلفًا عن غرضي من الكتابة التي أتت لاحقًا، بالرغم من تقاطعهما ببعض الدوافع الذاتيّة والموضوعيّة. إذن هل يُمكنني القولُ إنَّ القراءة لم تُساهم على نحوٍ ما في تشكيلي روائيّاً؟

لقد كان لها ذلك من حيث اللغةُ، والأسلوبُ، وطريقةُ صياغة الأفكار، وكثيرٌ من عناصر الكتابة، لكنَّها ليسَتِ المُحرِّكَ الأوحدَ لفعل الكتابة الذي يُفكّك التجربة الذاتيّة، ويُعيد صياغتها وفق رؤى جديدة، وليسَتِ اليدَ الوحيدةَ التي لها أن تؤدّي بالكاتب إلى إعادة تشكيل الواقع بناءً على ما اكتسب من مفاهيم خاصة تشكّلت عبر الزمن، الحاضن التفاعليّ للتجارب الإنسانيّة بكلّ أبعادها ومستوياتها.

الكتابةُ ردّةُ فعلٍ على خللٍ في واقع ذاتيّ، وآخر موضوعيّ، وهي بطبيعة الحال ليست فعلًا ترفيهيًّا إنّما رؤية قادمة من عدم الرضا عن السائد. من هنا يمكن الحديث عمّا يُسمّى بالموهبة، التي ترتبط بقوة بالدرجة العالية من الحساسيّة في رؤية الكون والذات، إذ إنَّ الموهبة – في رأيي – هي هذه الحساسيّة بدرجاتها العالية، وبالتالي تغدو الكتابة وسيلة علاجيّة ذاتيّة تنظر إلى حياة الكاتب وعلاقتها بكلّ ما يُحيطه على مختلف الصُّعد.

هل يعني هذا أنَّ الكاتبَ كائنٌ عصابيّ، أو لديه خلل نفسيّ؟ بطبيعة الحال لا يمكننا الجزم بهذا، فعلم النفس بكلّ مدارسه لم يصل إلى حقيقة ثابتة في هذا الشأن، لكن يمتاز مَنْ ذهبوا إلى عالم الكتابة بقدرتهم الفائقة على

الاحتفاظ بالكثير من التفاصيل الشخصيّة، والتفاصيل التي يرونها أثناء حركتهم في مجتمعاتهم وبيئاتهم، وهذا يؤدّي إلى تراكم يجعل من صاحبه كاتبًا، وفي الوقت نفسه يجعله متأذيًا.

من هنا أرى أنَّ الكتابة بالإضافة إلى كونها وسيلة للتعبير عن الذات، والخروج بها على السائد غير المقنع، فهي عمليّة تفريغ للنتائج السلبيّة للتراكمات الحسّيّة. في هذا الشأن يرى الكاتب والمعالج النفسيّ الأمريكيّ (فيليب كيني)، أنَّ علم النفس والإبداع والروحانيّة ليسَتْ مجالاتٍ منفصلةً، بل إنَّها مرتبطة بشكل وثيق بالقوة التي تتحرّك من خلالنا جميعًا. ويرى (كيني) أنَّ الكتابة يمكن أن تكون علاجًا للاكتئاب، بل وبديلًا لمضادّاته. ومن هذا المنطلق أصدرَ رواية عام 2012 بعنوان (إشعاع)، صُنِّفَتْ على أنَّها واحدة من روايات أدب الاعتراف.

إنَّ أكثر الكتّاب عمقًا – في رأيي – هم أولئك الذين يبذلون جهدًا مضاعفًا لمكاشفة أنفسهم، سواء بشكلٍ مباشرٍ أو من خلال الشخصيّات في الروايات على سبيل المثال، وبالتالي يُمكنهم ممارسةُ شكلٍ قاسٍ من النقد المُقترن بالحريّة وعدم الانصياع للمثاليّات الزائفة.

وبالإضافة إلى ما هو متعلّق بالطبيعة السيكولوجيّة، فإنَّ التأمل، والخبرة الحياتيّة المتنوّعة، والرغبة بالتعبير عن الذات، هي دوافع للكتابة، وهي التي بالإضافة إلى القراءة والممارسة الحثيثة للكتابة، تصنع من الإنسان كاتبًا، بالرغم من عدم انفصال تلك العناصر عن الواقع السيكولوجيّ للإنسان الكاتب، إنَّها عناصر مترابطة بشكل مذهل. من دون القراءة لا يمكن لتلك الأدوات التي يُعبِّر الكاتب فيها عن ذاته، وعمّا حوله، أن تستمرّ، ولا يمكن أن ينجح في تفريغ تراكماته، في هذه الحالة ستذوي مثل الأشجار التي غرست في أرضٍ صحراويّةٍ أمطارها شحيحة، وبالتالي هي في حاجة يوميّة للماء.

التساؤل الذي يفرض نفسه في هذا السياق: هل يمكن لإنسان أن ينجح في أن يكون كاتبًا من دون قراءة؟ ربما يحدث هذا! لكن في نطاق ضيّق جدًا، بل ونادر أيضاً. أمّا النسبة التي هي خارج هذا النطاق، وخاصة أولئك الذين يوهمون وسائل الإعلام والقُرّاء، بأنّهم يقرأون باستمرار، فإنَّهم يُنتجون أعمالًا أدبيّة – على الأغلب – تشبه بعضها بعضاً بنسبة عالية؛ أي إنَّها امتدادٌ للعمل الأول الذي وُلِدَ اتّكاءً على جملة التراكمات الحسّيّة، وبالتالي تُصبح الأعمال اللاحقة مجرّد دوران في حلقة مُفرغة، وتشبه عزفًا على آلة موسيقيّة وتريّة ناقصة وترًا.

القراءة بمفردها لا تصنع كاتبًا، لكنَّ غيابها سيقتل هذا الكاتب، إذ لا يكفي أن تشقَّ قناة قصيرة في إحدى ضفاف النهر، بل عليك أن تستمرّ في شقّ هذه القناة؛ ليصل الماء إلى جذوع الأشجار فيُحييها.

جلال برجس
رئيس التحرير

البوابة
الرقمية

حقوقُ الإنسان
في ظلّ التطوّر الرقميّ

علي شنينات

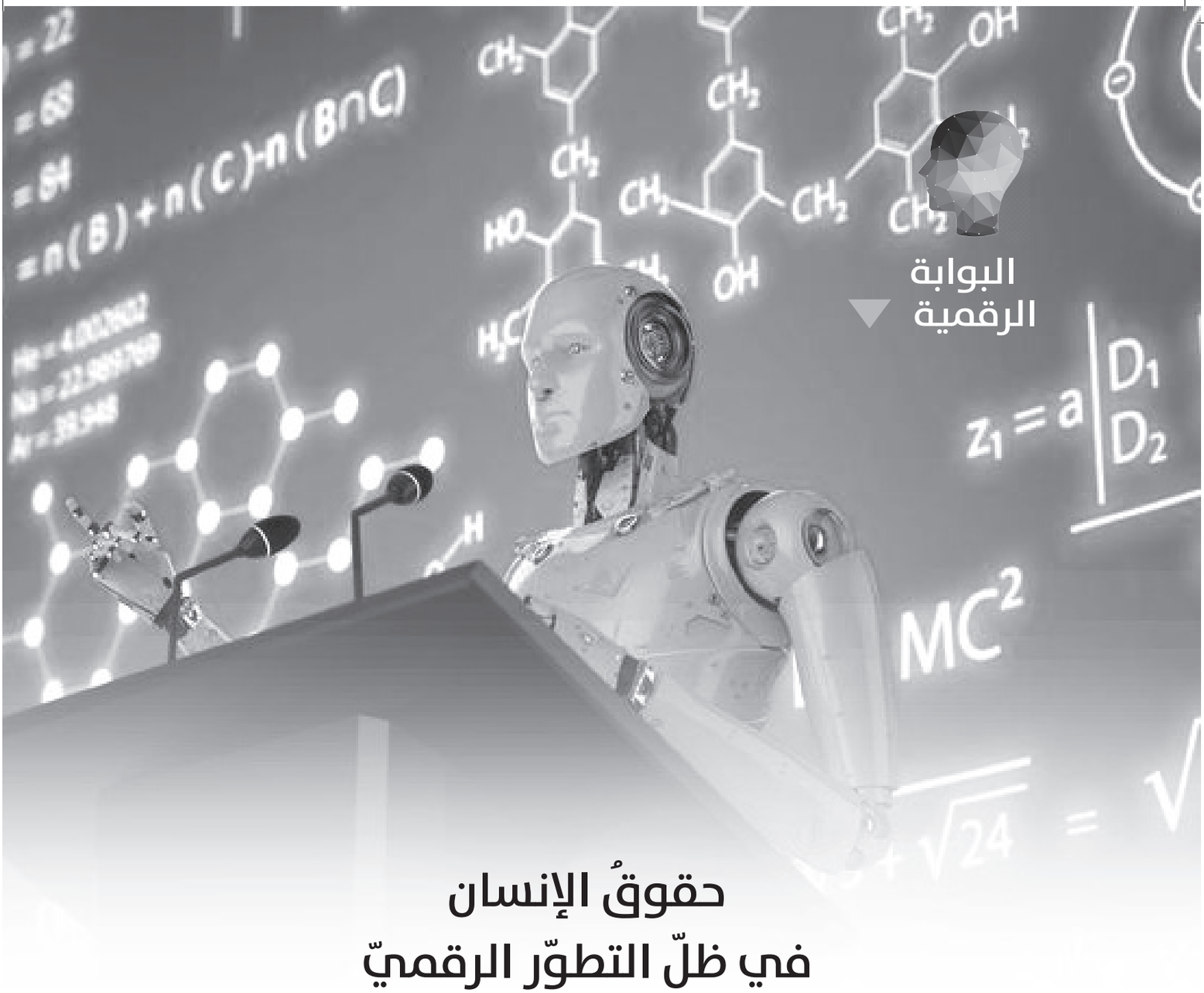

حقوقُ الإنسان في ظلّ التطوّر الرقميّ

علي شنينات

أدّى استخدام التِّقْنيّات الرقميّة الحديثة إلى ظهور عمليّات تحوّل في المجتمع الحديث، تحوّل رقميّ للعلاقات الاجتماعيّة، الذي يتمّ التعبير عنه في استخدام التِّقنيّات الرقميّة الحديثة في مختلف مجالات النشاط البشريّ.

أدّت الثورة الرقميّة – لكونها عاملاً من عوامل التطوّر الديناميكيّ – إلى إنشاء اقتصاد رقميّ، وتطوير أسس القانون الرقميّ، وإعداد جديد للعلاقات الاجتماعيّة القائمة على استخدام الإنترنت والشبكات الاجتماعيّة، وتِقْنيّات المعلومات والاتصالات الأخرى. تُشكّل التِّقْنيّاتُ الرقميّةُ الحديثةُ طريقةً جديدةً للإنتاج، وتخلُقُ شروطاً مسبقةً للانتقال إلى تشكيل جديد، إلى رقمنة العلاقات العامة، والقانون نفسه الذي ينظّم هذه العلاقات.

إنَّ التحوّل الرقميّ له تأثير مباشر على تنفيذ حقوق الإنسان الأساسيّة، ويساهم في ظهور حقوق الإنسان والحقوق المدنيّة الجديدة، كمشارك في المعلومات العالميّة، على اعتبار أنَّه جزءٌ لا يتجزّأ من الحياة العامة.

تهديد الخصوصيّة للإنسان:

يوفّر عصر التقنيّات الرقميّة فرصاً جديدةً وأوسع؛ لممارسة حقوق وحريّات الإنسان والمواطن، ولكنّه في الوقت نفسه يخلُقُ تحدّياتٍ وتهديداتٍ جديدةً لضمان هذه الحقوق والحرّيّات، تؤدّي رقمنة جميع مجالات الحياة تقريباً في بعض الحالات إلى تأثير سلبيّ، وفي المقام الأول هو ضمان حقوق الإنسان الطبيعيّة غير القابلة للتصرّف، خاصة عندما يتعلّق الأمر بالخصوصيّة.

في معظم الحالات يحمي مستخدمو التقنيّات الرقميّة وشبكة الويب العالميّة، المعلوماتِ الشخصيّةَ بشكلٍ فرديّ، باستخدام مجموعة متنوّعة من التقنيّات، لكن هذا ليس دائماً لأسباب موضوعيّة وذاتيّة، ممّا يعني أنَّ هناك تهديداً مباشراً للعديد من حقوق الإنسان والحرّيّات الطبيعيّة والمدنيّة الأساسيّة.

في الوقت الحاضر، ليس هناك شكّ في أنَّ الآليّة الإلكترونيّة لضمان حقوق وحرّيّات الإنسان والمواطن مستحيلة بدون محتوى المعلومات الإلكترونيّة، ولكن في الوقت نفسه، من الواضح أنَّ تكنولوجيا المعلومات واستخدامها في تنفيذ حقوق الإنسان، ليست دائماً إيجابيّةً تماماً.

إنَّ الاستخدام واسع النطاق للتكنولوجيات الرقميّة، لا يضمن فقط ممارسة حقوق الإنسان والحرّيّات المدنيّة، ولكن أيضاً في بعض الأحيان، وبشكل مباشر، يُشكِّلُ تهديداً لحقوق الإنسان الأساسيّة، وفي كثير من الحالات ينتهكها، وهذا يطرحُ موضوعيّاً مهامَّ جديدةً لدول العالم والمجتمع الدوليّ؛ لحلّ المشاكل القائمة في هذا المجال؛ لضمان التوازن بين الحقوق والمصالح المشروعة للأفراد والمجتمع والدولة.

يجب أن تكون المهمّة الحاليّة هي فهم الأفكار حول الحقوق الرقميّة، وإلى من تنتمي، وما الذي تمثّله، وما هي الفوائد

التي تهدف إلى حمايتها، وكيف ترتبط بالحقوق والحرّيّات الأساسيّة (مدى استقلاليّتها). وعلى أساس الفهم العام، ينبغي تفسير الحقوق الرقميّة على أنَّها امتدادٌ لحقوق الإنسان العالميّة؛ لتلبية احتياجات مجتمع قائم على المعلومات.

يمكن أن تشمل الحقوقُ الرقميّةُ نطاقاً واسعاً من الحقوق الأساسيّة التي يتمّ تنفيذها في بيئة رقميّة، وتتطلّب البحث من حيثُ خصائصُ هذه البيئة، وبالتالي فإنَّ الحقوق الرقميّة الأساسيّة مستمدّة في المقام الأول من حقوق المعلومات، ولكنَّها لا تختزل فيها.

تكمن القيمة العلميّة للدراسات الحاليّة، في حقيقة أنَّها تحدّد التحدّيات الرئيسيّة التي تواجه حقوق الإنسان والحرّيّات، في سياق الرقمنة القائمة على دراسة القضايا النظريّة والقانونيّة، وتقدّم مقترحاتٍ حول طرق واعدة لحماية هذه الحقوق في ظروف جديدة.

وغطّت الدراساتُ فئةً من الحقوق، مثل «الحقوق الرقميّة»، التي لم تحظَ بعدُ باعترافٍ عالميّ، سواء في القانون أو في الفقه. وطالبَتْ بعضُ الدراسات بإلغاء الحقوق الرقميّة، التي ينبغي تفسيرها على أنَّها توسيع لحقوق الإنسان العالميّة لاحتياجات مجتمع قائم على المعلومات.

إمكانيّةُ تنفيذ القانون الرقميّ دون المساس بالحرّيّات:

قبل عشرين عاماً، ضغطت منظّماتُ إنفاذ القانون لمطالبة خدمات البيانات والاتصالات، بهندسة منتجاتها؛ لضمان وصول إنفاذ القانون إلى جميع البيانات، بعد نقاش مطوّل وتنبؤات قويّة، بأنَّ قنوات الإنفاذ «تصبح مظلمة»، وتمّ التخلّي عن هذه المحاولات لتنظيم تقنيّات الأمان على الإنترنت الناشئ. وفي السنوات الماضية ازدهر الابتكار على الإنترنت، ووجدَتْ وكالاتُ إنفاذ القانون وسائل جديدة وأكثر فعاليّة للوصول إلى كمّيّات أكبر بكثير من البيانات.

اجتمعت مجموعةٌ من علماء الكمبيوتر وخبراء الأمن، الذين شارك العديد منهم في دراسة عام 1997 لهذه الموضوعات نفسها؛ لاستكشاف الآثار المحتملة لفرض تفويضات وصول استثنائيّة إلى المعلومات، لقد وجدوا أنَّ الضرر الذي يمكن أن تسبّبه متطلبات الوصول الاستثنائية لإنفاذ القانون، سيكون أكبرَ اليومَ ممّا كان عليه قبل 20 عاماً، ففي أعقاب التكلفة الاقتصاديّة والاجتماعيّة المتزايدة لانعدام الأمن الأساسيّ لبيئة الإنترنت اليوم، يجب التعاملُ بحذرٍ مع أيّ مقترحات تُغيّر ديناميكيّات الأمان عبر الإنترنت.

ومن شأن الوصول الاستثنائيّ أن يجبر مطوّري أنظمة الإنترنت على عكس ممارسات تصميم «السرّيّة المتقدّمة» التي تسعى إلى تقليل التأثير على خصوصيّة المستخدم عند اختراق الأنظمة. إنَّ تعقيد بيئة الإنترنت اليوم، مع ملايين التطبيقات والخدمات المتّصلة عالَميّاً، يعني أنَّ متطلّبات إنفاذ القانون الجديدة، من المُرجَّح أن تؤدّيَ إلى عيوب أمنيّة غير متوقّعة يصعب اكتشافها. وإلى جانب نقاط الضعف التقنيّة هذه وغيرها، يُثيرُ احتمالُ نشر نظم وصول استثنائيّة على الصعيد العالميّ، مشاكلَ صعبةً حول كيفيّة إدارة هذه البيئة، وكيفيّة ضمان احترام هذه النظم لحقوق الإنسان وسيادة القانون.

تناولت معظم الدراسات الحلول المُمكنة لحلّ هذه المشكلة، ومن الحلول المقترحة لتوفير وصول إنفاذ القانون إلى البيانات المُشفّرة، يتمثّل أحد الأساليب الطبيعيّة في توفير الوصول المباشر لإنفاذ القانون إلى المفاتيح التي يمكن استخدامها لفكّ تشفير البيانات. وهناك آليّة مقترحة بشكل متكرّر، ويبدو أنَّها جذّابة للغاية لمفاتيح escrowingdecryption في نظام المفتاح المتماثل، حيث يتمّ استخدام نفس المفتاح لكلّ من التشفير وفكّ التشفير، بينما في نظام المفتاح العام، يستخدم الجمهور لتشفير البيانات التي لا يمكن فكّ تشفيرها إلّا عن طريق كيان يمتلك مفتاحاً خاصاً مرتبطاً.

عادةً ما يتمّ تشفير البيانات – سواءٌ أكانت تخزيناً أم إرسالاً – باستخدام مفتاح متماثل، وعليه يمكن أن تعمل العديد من بروتوكولات نقل البيانات مثل بروتوكول أمان طبقة النقل (TLS) في وضع يتمّ فيه تشفير البيانات المراد إرسالها بمفتاح متماثل، يتمّ تشفيره بمفتاح عامّ، ثم ينتقل هذا المفتاح المتماثل المُشفَّر مع البيانات المُشفَّرة، ويصل المُستلِم إلى البيانات أولاً باستخدام مفتاح pri-vate الخاصّ به؛ لفكّ تشفير المفتاح المتماثل، ثم يستخدم المفتاح المتماثل لفكّ تشفير البيانات.

وثمّة اقتراح شائع هو زيادة هذا النهج، عن طريق تشفير المفتاح المتماثل مرّةً ثانيةً، باستخدام مفتاح escrowingpub-lic الخاصّ، إذا تمّ إرسال البيانات بعد ذلك، فإنَّ تشفيرين للمفتاح المتماثل يرافقان البيانات، أحدهما بالمفتاح العامّ للمُستلِم المقصود، والآخر بمفتاح عام مرتبط بعامل es-crow.

وإذا تمّ تشفير البيانات باستخدام مفتاح متماثل للتخزين بدلاً من الإرسال، فقد يتمّ تشفير المفتاح المتماثل باستخدام المفتاح العام لوكيل الضمان، ويمكن أن يظلّ مفتاح الضمان هذا مع البيانات المشفّرة، إذا حصلت جهة إنفاذ القانون على هذه البيانات المشفّرة، إمّا أثناء الإرسال أو من التخزين، فيمكن تجنيد وكيل الضمان لفكّ تشفير المفتاح المتماثل، الذي يمكن استخدامه بعد ذلك لفكّ تشفير البيانات.

يجبُ حسابُ التكاليف وقيمةُ الضَّرر:

عندما يحتاج المواطنون إلى إنفاذ القانون لحماية أنفسهم في العالم الرقميّ، فإنَّ جميع صانعي السياسات والشركات، والباحثين والأفراد، وأجهزة إنفاذ القانون، مُلزَمون بالعمل على جعل البنية التحتيّة للمعلومات العالميّة لدينا أكثر أماناً من الناحية الفنّيّة، وجديرة بالثقة والمرونة.

إنَّ مثل هذا الوصول سيفتح الأبواب التي يمكن من خلالها للمجرمين والدول القوميّة الخبيثة، مهاجمة الأفراد الذين تسعى سلطات إنفاذ القانون للدفاع عنهم، وستكون التكاليفُ دونَ القيمة، والضررُ الذي سيلحق بالإبداع شديداً، والعواقب التي قد تلحق بالنمو الاقتصادي يصعب التنبؤ بها، كما أنَّ التكاليف التي ستتكبّدها القوة الناعمة لتطوير المحاولات ستكون أضخمَ، والخسائر في المنظومات الأخلاقية ستكون باهظةً أيضاً.

لذلك يتعيّن على صُنّاع السياسات أن يكونوا واضحين في تقييم التكاليف والفوائد المحتملة، وليس من المستغرب أن تنتهيَ هذه الورقة بأسئلة أكثر من الإجابات، حيث ما تزال متطلّباتُ الوصول الاستثنائيّ غامضةً، إذا كانت جهات إنفاذ القانون ترغب في إعطاء الأولوية للوصول الاستثنائيّ، فإنّنا نقترح أنَّها في حاجة إلى توثيق متطلّباتها، ثم تطوير مواصفات حقيقيّة ومفصّلة لما يتوقّعون أن تفعله آليّات الوصول الاستثنائيّة؛ للمساعدة في تمييز أفضل مسار من خلال هذه المهامّ المعقّدة.

المرجع:

Human rights in the digital age: Challenges, threats and prospects/Oleksandr V. Petryshyn

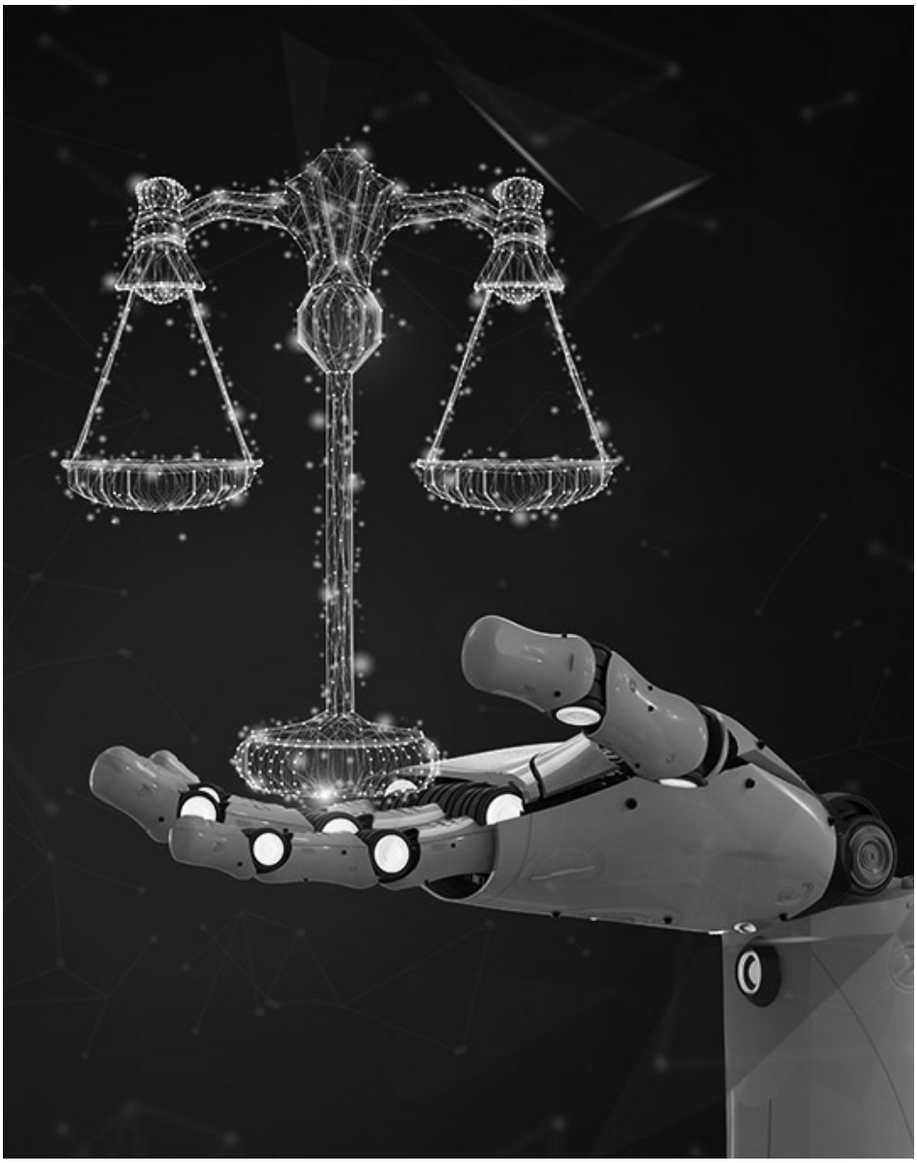

لوحة الفنان إلياس توما/ سورية

مصفوفة

العدد

شبابٌ مُبدِعون من الكرك
أحلامٌ إبداعيّةٌ شبابيّةٌ مشروعةٌ

إعداد: جمانة الطراونة

- شبابٌ مُبدِعون من الكرك أحلامٌ إبداعيّةٌ شبابيّةٌ مشروعةٌ ..... إعداد: جمانة الطراونة
- نحتاجُ الكثيرَ لنستمرّ ..... رويدة الضمور
- أثرُ التاريخ... خطواتُ الكتابة ..... علي الخرشة
- لهذه المدينةِ سحرُ الآسِرِ ..... محمود المحادين
- تاريخُ محافظتي زاخرٌ بالأحداث والقصص..... تامر الحباشنة
- للكرك حضورٌ جماليٌّ يمدّ الشاعر بطاقة عالية ..... عروة المصاروة
- جبالُ الكرك أول إلهاماتي وأعلاها ..... ليان الطراونة

شبابٌ مُبدِعون من الكرك
أحلامٌ إبداعيّةٌ شبابيّةٌ مشروعةٌ

إعداد: جمانة الطراونة

يُشكِّلُ المكانُ جزءاً من التكوين النفسيّ والعاطفيّ للفرد، وله أثرٌ كبيرٌ في بناء شخصيّته، وبلورة هُويّته التي تتحدّد ضمن هذا الإطار، وهو مرتبط بالانتماء والانسجام المتبادل، فيتحوّل المكان من مجرّد موقع جغرافيٍّ إلى انتماءٍ وجدانيّ. وارتباطُ المبدعُ بالمكان يُعَدّ ارتباطاً نفسيّاً، لذلك مهما ابتعد عنه، فإنَّه يبقى عالقاً بذاكرته مؤثّراً فيه، وينطبق ذلك على قول محمود درويش: «بدون الذاكرة لا توجد علاقة حقيقيّة مع المكان».

ويستمرّ المكانُ حاضراً في سلوكيّات الفرد، ويبقى الفردُ مُتعلّقاً به، ينطلق منه ليعودَ إليه ثانيةً، كما يقول أوليفر وندل هولمز: «الوطن هو المكان الذي نحبّه، فهو المكان الذي قد تغادره أقدامنا، لكنّ قلوبنا تظلّ فيه».

وعلاقة المكان بالمبدع لا تعدو إلّا أن تكون علاقة تفاعليّة (تأثير وتأثر)، ولا تخرج من إطار التكامليّة، إذ هما يُكمِّلان بعضهما بعضاً، وهي بالتالي عطاء متبادل، بحيث يقدّم كلّ واحدٍ منهما للآخر ما يضمن وجوده وديمومته، فهما كالروح والجسد، فلا قيمة للمكان بدون الإنسان، ولا هُويّة للإنسان بدون مكان، وبذلك يضفي كلّ واحدٍ منهما على الآخر من صفاته وسماته، ويؤثّر على طبيعته وكينونته، فلا يكتمل أيّ واحدٍ منهما بدون الآخر، ولا يستطيع أن يؤدّي وظيفته إلّا بتواجدهما معاً، تواجداً حسّيّاً أو نفسيّاً.

وفي الكرك المدينة التاريخيّة التي تعود نشأتها إلى العصر الحديديّ، حيث تعاقبت عليها الحضارات الآشوريّة، واليونانيّة، والرومانيّة، والنبطيّة، والبيزنطيّة. وحيث التنوّع الجغرافيٍّ ما بين الجبل ووعورته، والسهل

قلعة الكرك/ الأردن

وانبساطه، وما بين الغور وأطراف الصحراء، والتعايش بين الأديان، حيث يتعانق الهلال مع الصليب، وربَتِ المآذنُ على أكتاف الكنائس في أرقى وأسمى معاني التسامح الدينيّ، والولاء الأول والأخير للمكان، ولا شيء سواه.

ذلك المكان المُلهم، والحاضنة الثقافيّة، والفضاءات المفتوحة، والآفاق المتّسعة التي أسّست تربةً خصبةً وبيئةً صالحةً للإبداع الأدبيّ للشباب، حيث جعلت من أفق تفكيرهم أكثر انفتاحاً وأوسع رؤيةً، والذي انطبق بالتالي على خياراتهم وأنشطتهم، وبالتالي نتاجاتهم الأدبيّة.

لقد حاولنا في هذا الملفّ سبر أغوار هذا المشهد، من خلال استطلاع آراء مجموعة من شباب وشابات مبدعين في مُقتبل العمر من محافظة الكرك، ممّن يكتبون الشعر، والقصّة، والرواية، والمقال الأدبيّ؛ للاقتراب من تجاربهم، وتسليط الأضواء عليها، ومعرفة مرئيّاتهم حول الكتابة، ووضع تجاربهم في الكتابة الإبداعيّة تحت مجهر الفحص النقديّ، من خلال طرح عدد من التساؤلات التي تتناول تأثيرات المكان كحاضنة ثقافيّة واجتماعيّة، ومدى تأثّرهم بمن سبقوهم من كُتّاب مدينة الكرك.

وهل لتاريخ المحافظة أثرٌ على نتاجاتهم الأدبيّة؟ وفي ما إذا كان لبعد المحافظة عن العاصمة عمان كمركزٍ ثقافيٍّ، تأثيرٌ على الأنشطة الثقافيّة التي من الممكن أن ترفد مواهبهم الإبداعيّة، وعن تأثير ثورة الاتصالات (الإنترنت) ومواقع التواصل الاجتماعيّ على نتاجهم الأدبيّ، وفي ما إذا استطاعوا تخطّي وتجاوز الحدود المكانيّة، والانطلاق نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ؛ لينتهيَ المطاف بسؤالهم: ما الذي ينقص محافظة الكرك لتفعيل الحراك الثقافيّ فيها؟

وقد تباينت الإجابات التي طرحناها على ستةٍ من مبدعي الكرك الشباب، وهم (علي الخرشة، ثامر الحباشنة، رويدة الضمور، عروة المصاروة، محمود المحادين، ليان الطراونة)، لكنّها اتفقت في أحلامها الإبداعيّة، وهي أحلام مشروعة، تجعلنا نطمئنُّ أنَّ هذا الجيل يمضي قدماً في مشروعه الإبداعيّ، سائراً بخطىً واثقةٍ نحو الأمام.

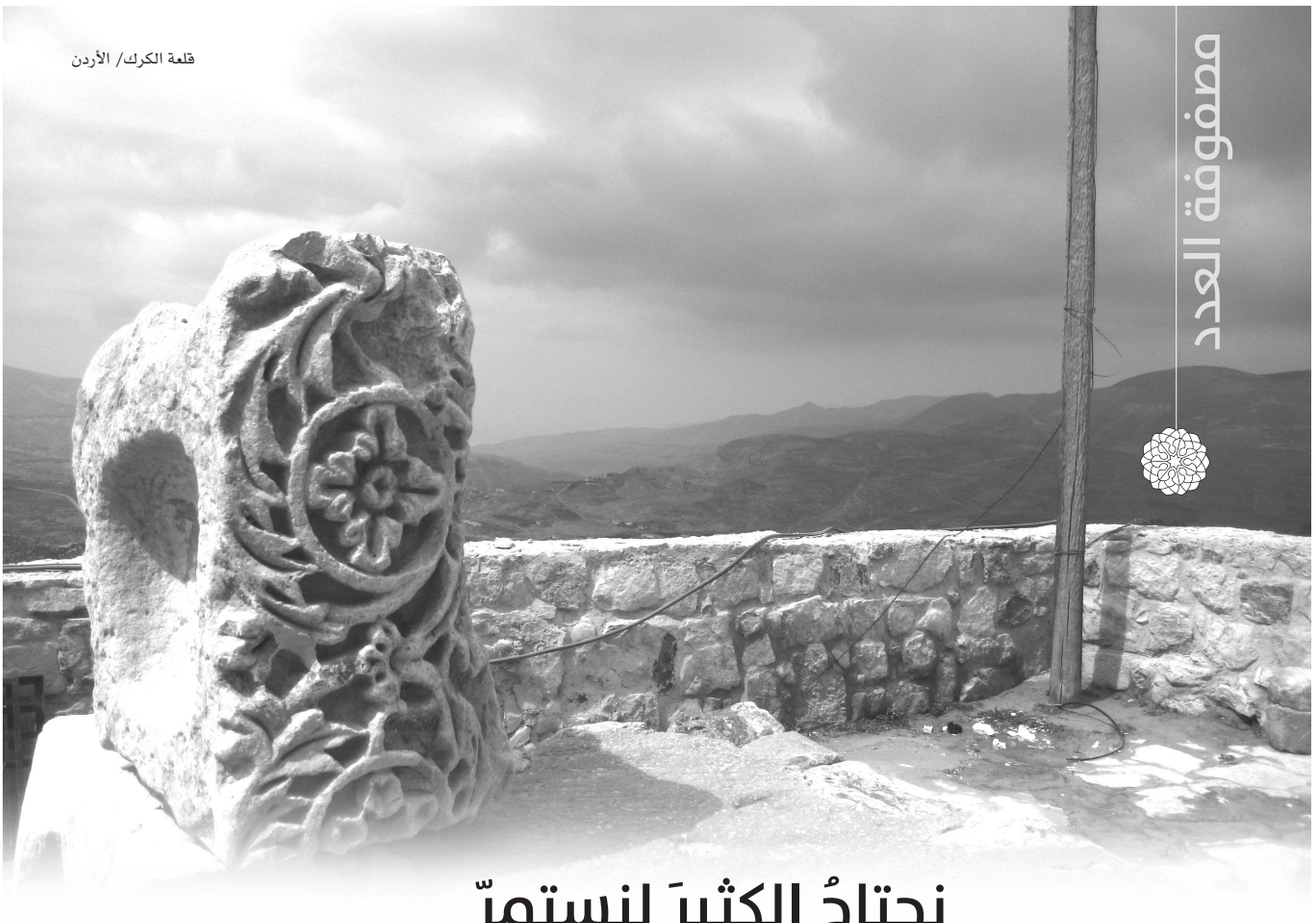

قلعة الكرك/ الأردن

نحتاجُ الكثيرَ لنستمرّ

رويدة الضمور[1]

تُعَدُّ الثقافةُ إحدى الأنشطة التي مارسها الإنسان عبر التاريخ، وكانت أبرزها في الآثار التي وصلتنا كالنقوش والرسومات التي حملت إلينا حضارة شعوب عاشت وفكّرت في صياغة نظام حياة خاصّ بهم، والأردنُّ دولةٌ تعاقبت عليها الحضاراتُ، وتركت فيها موروثًا تاريخيًّا أثّر على طبيعة المنطقة، كأن تكون مزارًا سياحيًّا علاجيًّا أو دينيًّا، وغيرها الكثير، وهذا إن دلَّ على شيءٍ، فإنّما يدلّ على أهميّة الثقافة، وكيف تترك أثرًا في بناء حضارة لها وقعها ومعالمها التي تبقى خالدةً عبر العصور.

الكركُ محافظةٌ جنوبيّةٌ لها جذورها التاريخيّة منذ عهد الآشوريّين والمؤابيّين، لهذا شكّلت حضارةً سياسيّةً تاريخيّةً ثقافيّةً لها وقعها في المشهد الثقافيّ إلى وقتنا هذا، فنحن على سبيل المثال بدأنا نشهد إعادة انطلاقة إرث الزيّ الأردنيّ في مبادرة أطلقتها أخواتٌ كركيّاتٌ نشميّاتٌ، أسميْنَها (فرحتنا بمدرقتنا).

وستضمُّ المبادرةُ عرضًا لأبرز المشغولات الكركيّة والإرث الكركيّ، كالبُسط، والنسيج، والجميد، وصناعات متعدّدة عُرِفت بها الكرك، وهي ثقافة خاصّة بأهل الكرك، اشتهروا بها، وأعود لأشيرَ إلى أنَّ هذه مبادرة خاصة حفاظاً على إرثنا وعاداتنا، وأنَّها سَتُقام في عمان؛ تعريفًا بالمدرقة والإرث الكركيّ، كما أنَّ ساحة الكرك تشهد مثل هذه الانطلاقات التي تُعنى بالحفاظ على ثقافتنا ومنهجنا في الحياة.

ومن خلال هذه المبادرات نرى أنَّ المكانَ حاضنٌ لانطلاق فكر المثقّف لصناعة التطوّر الثقافيّ، وزرع الإرث الحضاريّ؛ ليبقى ثابتاً للأجيال القادمة؛ تذكيراً بالكرك كمدينة أردنيّة وفكر إنسانها. وبالرغم من كلّ ما تشهده الساحة الثقافيّة

1. أديبةٌ صدرَ لها (ودق)، و(شمس تحت الظل).

من حركاتٍ بعضها خاصّ، وبالرغم أيضاً ممّا تقدّمه مديرية ثقافة الكرك من جهود، فإنَّ المشهد ما زال ضعيفاً، ويحتاج إلى دعم أكثرَ لإبراز دور المثقّف الكركيّ في رفد المشهد بأفكار منوّعة، تُساهم في ترسيخ حضارة المكان وإرثه الثقافيّ والاقتصاديّ والسياسيّ وغيرها.

الآن ومع تطوّر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبح من السهل على المثقّف نشر فكره ومحتواه للعالم أجمع، ممّا ساهم في تقديم بعض التسهيلات له لإيصال رسالته الثقافيّة، وتلقّي الدعم والنقد وغير ذلك، خصوصاً أنَّ أغلب الأنشطة التي تتمركز في عمان يصعب على المثقّف الكركيّ حضورها والمشاركة فيها دائماً؛ نظراً لظروف يصعب حصرها هنا.

ومن جهود ثقافة الكرك المميّزة التي قدمتها: (حوار مع مثقّف)، (نافذة في كتاب)، برامج التوعية بأهميّة القراءة للفئة العمريّة ما دون العاشرة؛ لغرس قيمة التغذية الناتجة عن قراءة الكتب، كما أنَّها تدعم مواهب الرسم لفئات متنوّعة.

وبالنسبة للشعر والنثر أرى أنَّ هناك تقصيراً واضحاً، فالساحة قليلاً ما تشهد أمسيات شعريّة نثريّة، وينقص الكاتب في هذا المجال الكثير من الدعم والنقد الذي يأخذه نحو الاتجاه الصحيح، فهناك مبدعون لم تعرفهم الساحة إلى الآن؛ نظرًا لعدم حصولهم على فرصتهم للظهور إلّا من خلال النشر المرئيّ، الذي أصبح منتشراً على نطاق واسع، وأخذ حيزاً كبيراً عوضاً عن النشر الورقيّ؛ بسبب التكلفة المادّيّة التي يحتاجها الأخير، وضعف الوضع الاقتصادي لدى البعض يحول دون جمع ما لديه في نتاج موثّق، ويتّجه للنشر المرئيّ، الذي من سيّئاته سهولة السرقة الأدبيّة، والصعود على ظهر الآخرين أحياناً.

على الصعيد الشخصيّ، فإنّني من الذين كان لديهم حظّ بالصدفة لأن أكونَ حاضرةً بعض الشيء في المشهد الثقافيّ، وهذه الصُّدفةُ كانت نتاج معرفتي بأشخاص أخذوا بيدي لأن أكونَ فرداً مشاركاً، وإن قلَّتْ مشاركاتي؛ نظراً لقلّة عمل الأمسيات الشعريّة والنثريّة التي أهتمّ بحضورها، ونظراً لصعوبة تواجدي في المشهد الثقافيّ خارج إطار محافظة الكرك، وهذا ما ينقص الأديب الكركيّ، أن يتمّ التعريفُ به خارج محافظته، ومشاركته المتواصلة.

وهنا أقصد الوجوه الجديدة التي تشهدُ ظهورَها الساحةُ الثقافيّةُ عادةً؛ لأنّني أرى أنَّ أدباء الكرك الذين لهم باع في هذا المجال، قد تركوا بصمةً في الفكر الثقافيّ الأردنيّ، وقد وصل بعضهم إلى خارج حدود الدولة، وتوسّع نطاق انتشارهم من خلال مؤلَّفات في شتّى المجالات، كالأديب القدير نايف النوايسة على سبيل المثال لا الحصر. وهناك جهود فرديّة أوصلت بعضهم إلى الانتشار. أمّا في دائرة ما أكتب، فأنا عادةً ما أكتب في ما يتعلّق بالمرأة من قضايا عاطفيّة، لكنّني – كأيّ كاتب – تأثّرتُ بما شهدته الساحة العربيّة من تغيّرات، فاتّجه قلمي معها، وكتب أيضاً متأثّراً باعتزازي بالكرك، مثلاً

«هذه الكرك

اسجدْ لله..

إنْ مررتَها..

ولا تحاولْ فكَّ رموزها..

أحببها على مذهب الجنوب..

وشغفِ شموخِها..

واستغلّ وقتَكَ السابح بالمحبّة..

وترانيم الانتشاء..

للسجودِ بمحرابها... إلى آخره».

كلماتٌ كتبتُها فخراً بالكرك، ونسائها، ورجالها الذين سطّروا اسمَها في صفحات التاريخ، تاريخ مُشرِّف، يجعل للكاتب نقطةَ انطلاقٍ في سطور الحضارة؛ لينقلَ لأحفادِهِ بفكرِهِ ثقافةَ مدينةٍ وتاريخَها، وهنا يتجسّد دورُ المثقّف الحقيقيّ، الذي يجب أن نسلِّطَ الضوء عليه، وإبراز فكره وهويّته الثقافيّة على المستوى الداخليّ والخارجيّ؛ ليكونَ مؤثّراً، ويُضيفَ إلى حضارة الأمة وفكرها ككلّ.

مدينة الكرك/ الأردن

أثرُ التاريخ... خطواتُ الكتابة

علي الخرشة[1]

لا يمكن عزل الأديب أو الكاتب عن محيطه والبيئة التي نشأ فيها، فالعلاقةُ ما بين الكاتب والمكان علاقة وثيقة، تشبه علاقة الخاتم بالبنصر، فالأديب يتأثّر بالمكان الذي هو فيه، فيكتب بلونٍ يُشبهه، ثم بعد ذلك نجدُ أنَّ المكان نفسه يكتسب طابعَ ذلك الكاتب وميزته، كما يترك الخاتم أثره في الإصبع.

هناك أماكن لم نكن لنعرفَها لولا شهرة كتّابها، وهناك كُتّابٌ يلمعون فقط لكونهم من ذلك المكان، (الكرك) وشعراؤها وكُتّابها مثالٌ حيّ على تلك العلاقة، حين تسمعُ بـ(الكرك) سيرتفع لديك سقفُ التأمّل، فأنتَ تتوقّعُ منها الكثير، والكركيّ دائماً مطالبٌ بأن يُبهرَك، كذلك فإنَّ الكرك كما لها رواسخ أثريّة تتعلّق بعمرانها وساحاتها التي شهدَتْ تعاقب الحضارات، لها أيضاً رواسخُ أدبيّةٌ تتعلّقُ بكُتّابها وشعرائها، وفنّانيها، وتجربتي الشخصيّة مثالٌ حيٌّ على ذلك.

فحين تفتّحَ ذهني على الأدب، وبدأتُ أستعيرُ الكتبَ لأقرأها، كان الدكتور حكمت النوايسة يُبهرني بشعره الحُرّ في ديوانه (الصعود إلى مؤتة)، ذلك الديوان الذي تحرّر من كلّ قيد، وكنتُ أغوصُ في تفاصيل النفس البشريّة في المجموعات القصصيّة لأديبنا الكبير نايف النوايسة، وفي مناظراتنا

1. كاتب قصة قصيرة، ورواية، ومسرح، صدرت له رواية (حفّار القبور)، ومجموعة قصصيّة (سفينة بروكرست). نال المركز الأول في جائزة ابن الجنوب للأديب الراحل محمد عياش الدورة الأولى ٢٠٢٢، عن رواية (حفّار القبور).

الشعريّة كانت قصائدُ ماجد المجالي حاضرةً بقوتها وثورتها، فلا عجبَ أن يكون لي حلمٌ مشروعٌ بأن أكونَ في يوم ما واحداً منهم، أكتبُ بنفس أحاسيسهم، وأعبّرُ عن وجدان الوطن بقلم صادق.

وبالطبع لتاريخ المحافظة أثرٌ على كتاباتي، بل هو أثر كبير، فالفريق المسرحيّ الذي قُمنا بتأسيسه أخذ اسم (مسرح الكرك)، ومخطوطي الأول للمسرحيّات أخذ ذات الاسم (مسرح الكرك)، وأغلب المسرحيّات لغةُ حوارها هي اللهجة العاميّة الكركيّة، وأيضاً روايتي (حفّار القبور) تدور أغلب أحداثها في محافظة الكرك، والرواية التي أحلم بكتابتها في يوم ما (حبّ بين ضفتين)، تدور أحداثها بين قرية كركيّة وقرية أخرى من قرى رام الله.

أمّا عن بُعد المحافظة عن العاصمة كمركز ثقافيّ، فله أثرٌ على الأنشطة الثقافيّة، فعلى الصعيد الشخصيّ، وما يخصّ كتابتي للقصة والرواية، فإنّه – والحمدُ لله – ليس له أيّ تأثير، بل على العكس، أجدُ في محافظتي دعماً سخيّاً يعود فضله لراعية الثقافة في محافظتنا مديرة الثقافة، الأستاذة عروبة الشمايلة، فهي مَنْ أقامت لي حفلاً لتوقيع مجموعتي القصصيّة (سفينة بروكرست)، وكان لذلك أثرٌ كبيرٌ في نشر المجموعة القصصيّة في محافظتي، وتكريمي بين أهلي وأصدقائي.

وأيضاً هناك دعمٌ مستمرٌّ من مديرية ثقافة محافظة الكرك لفريق مسرح الكرك، من خلال الدعم الماديّ، وتوفير أماكن تدريب الفريق، وتسخير مسرح الحسن الثقافيّ لعرض أغلب وأكبر مسرحياتنا. كما أنَّ هناك مشروعاً لنشر الكتاب ودعم الكُتّاب في محافظة الكرك (كُتّاب الكرك)، كان له دورٌ كبيرٌ في إخراج روايتي (حفّار القبور)، وتدقيقها وضبطها، وكان لذلك فضلٌ في فوز الرواية في مسابقة ابن الجنوب للأديب الراحل محمد عياش ملحم، وحصولها على المركز الأول.

كذلك يمكن القول: لقد ساهمت ثورة الاتصالات (الإنترنت) في قدرتك على تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ، فمن خلال مواقع التواصل الاجتماعيّ، تمكّنتُ من المشاركة في مسابقات عربيّة للقصّة القصيرة، ومن خلالها تعرّفتُ على أصدقائي الأدباء من كافة الوطن العربيّ، ومن خلال الإنترنت انضممتُ لنادي (الساردون يغرّدون)، الذي تمكّنتُ من خلاله من مناقشة أعمالي الأدبيّة مع كبار النقّاد من دكاترة وأساتذة في مجال النقد الأدبيّ.

ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ، اقتربتُ من نشر روايتي في دار نشر كنتُ أحلمُ في أن أكونَ أحد كُتّابها، أمّا بخصوص ما ينقص المحافظة لتفعيل الحراك الثقافيّ، فسأجيب بكلّ عفويّة على هذا السؤال: تنقصُ محافظة الكرك أن يكون هناك أمثال الأستاذة عروبة الشمايلة في تفانيها وإخلاصها، وفي صدق أهدافها، لو حدث ذلك – ليس فقط على الصعيد الثقافيّ – لوجدتَ كلّ الأمور تتبدّل بشكل واضح وجليّ نحو الأفضل طبعاً.

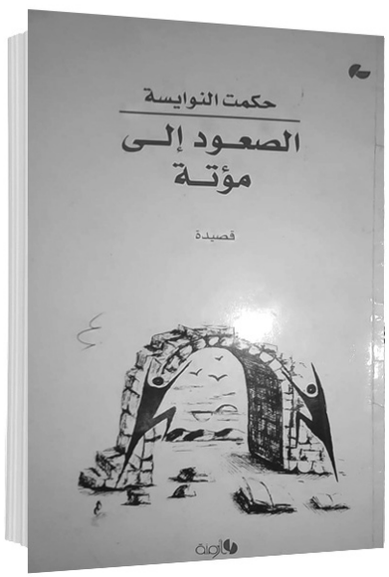

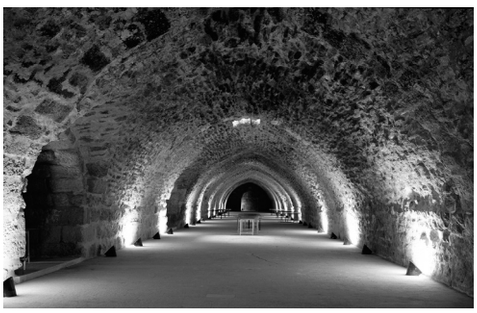

قلعة الكرك/ الأردن

لهذه المدينةِ سحرُ الآسِرِ

محمود المحادين[1]

في محافظةٍ ذاتِ طابعٍ عشائريٍّ، متمسِّكةٍ بالعادات والتقاليد، والقيم والمبادئ والشريعة الإسلاميّة، لا بدَّ أن تتأثّر بهذا المحيط الدافئ والآمن إن صحَّ التعبير، أجد هذا التأثير إيجابيّاً في معظمه، فلديَّ الكثيرُ من المرجعيّات التي أُمرِّرُ عبرها ما أكتب، وأشذِّبه من خلالها؛ ليخرج صافياً نقيّاً كأهل هذه المدينة الطيّبة.

على الجانب الآخر أجد في نفسي الجرأة الكافية للتعبير عمّا يجول في خاطري، فحاضنتي الاجتماعيّة تمنعني من الإساءة أو التجاوز، وتمنحني في نفس الوقت أرضيّةً راسخةً أنطلقُ منها، وشعوراً بالحماية والطمأنينة لأمارسَ حرّيّتي في التعبير والإبداع.

وأعتقد أنا ومَنْ سبقني واقعين تحت تأثير سحر هذه المدينة الآسر، أنَّنا مهما حاولنا أن نتمرّد بكتابتنا، فستظلُّ مصبوغةً بصبغة الكرك والجنوب، وربما كُنّا نُشكِّلُ مدرسةً أدبيّةً متفرِّدةً، اسمها (الجنوبيّون)، وهذا قد ينطبق على السؤال التالي حول أثر تاريخ المدينة في منح كتّابها سماتٍ خاصةً ورثوها عن أجدادهم الشجعان والكرماء، الذين سكنوا هذه المناطق الجبليّة منذ مئات السنين، وتشرَّبت مساماتهم الرجولة والكبرياء، والعزة والأنفة، منذ نعومة أظفارهم، وكأنَّ الأمرَ ميراثٌ يتناقله الأبناء عن الآباء والأجداد.

وتاريخٌ كتاريخ الكرك عابقٌ بالمجد والألق والكبرياء، لا يمكن إلّا أن يكون له أثرٌ بالغٌ وعميقٌ في الكتابة، فنحن نفخرُ بهذا الماضي، ونسعى بما أوتينا من قدرات أن نكونَ خيرَ مَنْ حمل وعبّر، وحافظ ودوّن هذا التاريخ المجيد والتليد الممتدّ عبر ممالك وحضارات ضاربة في القدم، كالمؤابيّين والأشوريّين والأنباط، واليونان والرومان والبيزنطيّين. فيرحارسة كما كانت تُعرف قديماً، ومعناها المدينة المُحصّنة أو المسوَّرة، مدينة تحبّ أبناءها، ويحبّها أبناؤها، وبينهما رابطة مقدسة لا تُخلخلها العواصف أو الأزمات.

أمّا عن بُعد المحافظة عن العاصمة كمركز ثقافيّ، فذلك له أثرٌ على الأنشطة الثقافيّة التي ترفد موهبتنا الأدبيّة، فربما كان هذا الأمر واضحاً في السابق قبل ظهور مواقع التواصل الاجتماعيّ، التي قرّبت المسافات، وعزّزت التقارب

1. كاتب صدرت له رواية (أرواح من زجاج)، ورواية (صباح الخير أيّها الحالمون)، والمجموعة القصصية (إثمد).

قلعة الكرك/ الأردن

بين جميع المهتمّين بالأنشطة الأدبيّة بمختلف أشكالها، ولكن ما تزال هناك إشكاليّة في حجم الدعم المُقدّم للفعاليّات المقامة في المحافظة، حيث ما يزال ضعيفاً مقارنةً بالفعاليّات والمهرجانات الضخمة التي يقتصر تنظيمها على العاصمة، مع أنَّ المدينة في حاجة لهذا التسويق لمرافقها السياحيّة وقلعتها الشهيرة، التي من الممكن أن تكون مركزاً إستراتيجيّاً لأيّ فعاليّة مهما كان حجمها.

لقد ساهمت ثورة الاتصالات (الإنترنت) في تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ، فمساحة الجمهور ازدادت عرضاً وطولاً، عرضاً داخل حدود الوطن من خلال الأصدقاء المشتركين الذين سمحت لنا بعض اللقاءات برؤيتهم خارج الفضاء الإلكترونيّ في العالم الحقيقيّ، وأصبحوا أكثر من جمهور، بل صاروا أحباباً وإخوةً ونقّاداً نستمتع بآرائهم، ونتزوّد منهم بالنصائح والإرشادات. وطولاً باتجاه العالم الكبير الذي أصبح الوصول إليه بكبسة زر، وهكذا أصبح لدينا متابعون وأصدقاء من كافة البلدان والمدارس الفكريّة والتوجّهات الأدبيّة.

وبخصوص ما ينقص المحافظة لتفعيل الحراك الثقافيّ، فبصراحة لا يوجد ما ينقص المحافظة من حيثُ الأنشطةُ أو المباني أو التنظيمُ أو الدعمُ، وهذا ما تقوم به مديريّة ثقافة المحافظة من جهود جبّارة وملحوظة تُشكَرُ عليها، حيث إنَّها تدعم وترعى أيّ نشاط ثقافيّ، ولديها فريق مميّز ودؤوب يحرص على دعم وتحفيز الموهوبين، ولديه جدول أنشطة فعّال ومكثّف ودائم.

لكن ما ينقص الحراك هو ما ينقص أيّ نشاط آخر، وهو الأمل والتفاؤل، فحالة القنوط العامّة انعكست بشكلٍ كبيرٍ على الحالة الثقافيّة، فعلى سبيل المثال كثيرٌ ممّن يتفاعلون مع منشوراتي عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ، ويعبّرون عن إعجابهم بالتعليقات البنّاءة، لا يتواجدون عند عقد ندوة أو مناقشة أو فعاليّة ثقافيّة؛ وذلك لانشغالهم في أعمالهم الأخرى، التي أصبح المواطن في حاجةٍ إليها لتغطية متطلّباته الاقتصاديّة الصعبة والمتراكمة، وهذا انعكس أيضاً على الأدباء والمثقّفين الذين لا يجدون رعايةً رسميّةً أو إعلاميّةً، تُغنيهم عن محاولات تسويق أنفسهم ومنتجاتهم الأدبيّة.

حجر ميشع

تاريخُ محافظتي زاخرٌ بالأحداث والقصص

تامر الحباشنة [1]

شاءَ اللّهُ أن يكون هذا المكان «محافظة الكرك» مركزًا وبوصلةً تاريخيّةً وأدبيّةً، وتُراثًا زاخرًا بأحداث سياسيّة ودينيّة واجتماعيّة، ومَهْدًا لممالك عديدة، عاصرت حضارات مختلفة ومتنوّعة، وخير مثالٍ شامخٍ على ذلك، قلعتها الصامدة الأبيّة، فقد نُسبت أحجارها التي حملتها وزيّنَتْ ممرّاتِها للمؤابيّين والبيزنطيّين والرومان وغيرِهم.

في كلّ رَبْعٍ من ربوع المحافظة، هُناك قصصٌ شتّى، ونسيجٌ غنيٌّ من الأحداث والشواهد والدلالات التاريخيّة والأدبيّة، استحوذت بلا شكٍّ على مُخيّلتي ومعرفتي كأحد أبناء المحافظة، وكان لها الأثر البالغ على ما أكتب، فكم سمعنا من قصصٍ هُنا وهُناك نقلًا عن آبائنا وأجدادنا، كانت كالأساطير أو أشبه بذلك لجمالها، وما زالت تلك الأحاديث تحتلّ جزءًا

1. كاتب صدرَتْ له رواية بعنوان (الوباص).

من الروح والهُويّة والجسد.

تلك القصصُ التي ذكرت وخطَّتْ صفحاتِ التاريخ والحاضر، توارثتها الأجيالُ جيلاً بعد جيل، وحملوا إرثها في أهازيجَ وأغانٍ شعبيّةٍ ردّدوا في كلماتها معاني الثورات والانتصارات إلى يومنا هذا، ولطالما تغنّينا بها في أفراحنا، وطربنا على كلماتها وما تحويه من معنى.

فالمكان يُعَدُّ حاضنًا ثقافيًا واجتماعيًا له الأثر الكبير عليَّ كشخص وكطبيعة حياة، وينعكس وفق ذلك على ما أكتب، فالجبال، والسهول، والحقول، وأعين الماء، والعادات الموروثة والتقاليد، والتاريخ، والحكايات الشعبيّة، والممالك التي عاصرَتْها هذه الأرضُ، كلّها غدت جزءًا منّي، ولو حلّق خيالي أينما ذهب، سيعود بي المطاف هُنا؛ لأستلهمَ وأرتويَ من جديد.

إنَّ الأعمال الأدبيّة لكتّاب محافظة الكرك منوّعة وغنيّة، وكلّ عملٍ منها يُعَدُّ بصمةً أدبيّةً، وتحفيزاً ذاتيّاً لكلّ كاتب أو قارئ، والكثير من الأعمال الأدبية كانت مُلهمةً لي على المستوى الشخصيّ، وأجمل ما في تلك الأعمال الاختلاف والتنوّع، ممّا أثرى لديَّ المعلومات، وأكسبني العديد من المهارات والخبرات، من خلال ما قرأتُ، ومن خلال التعرّف على ثُلّة من كُتّاب المحافظة وأدبائها أيضًا، فكلّ عملٍ أدبيّ له صدى لا يزال يتردّد، وكلّ جلسة أدبيّة لها فائدة قيّمة.

وجميلٌ جدًا أن تقرأ أعمالًا لأبناء جلدتك، وتتعرّف على أدبهم، وتغوص في أغوارهم وعوالمهم، فذلك أعظم تحفيز لي بأن أثابرَ وأستمرَّ، وأشاركهم الأدب والعلم والمعرفة. وتاريخ المحافظة الزاخر بالأحداث والقصص، يُجبرني دون أدنى شكّ على الاطلاع والبحث عمّا يتعلّق بتاريخ المحافظة، ودراسته وفهمه، ومعرفة الممالك والعصور التي مرّت على هذه الأرض، والأبطال الذين سطّروا المجد وخلّد التاريخ ذكراهم.

ولعلّ الغوص في تاريخ المحافظة، يحمل أوجهاً عديدةً، تتباين في ميزة المكان كما أسلفتُ سابقًا، ودراسة تاريخه سياسيًا وأدبيًا وديمغرافيًا، وقد ذُكر ووثّق بالعديد من الكتب والمراجع التاريخيّة، ورحلات الباحثين والكُتّاب، كرحلات «جون لويس بيركهارت» وغيرها.

وسأذكر هنا أنَّ هذا المكان أيضًا يحوي تاريخًا دينيًا ومقامات دينيّة للأنبياء والصحابة، وما زالت بعض الآثار التاريخيّة شاهدة على الكثير من الأحداث التي قامت على هذه الأرض من حروبٍ ومعاركَ وصراعاتٍ، تستوجب من كلّ كاتب أن يطّلع عليها، وتجذب كلّ قارئ للوقوف عليها.

وقد يؤثّر سلباً بُعد المسافة على المشاركة في بعض الأنشطة الثقافيّة، لكنَّ ذلك لا يحدّ من رفد الموهبة الأدبيّة لأيّ شخص، فالعالَمُ مفتوحٌ على مصراعيه، وسُبل تطوير المهارات وتنميّة الذات لها سُبلها، وأبوابها عديدة وواسعة، وفي رأيي أنّ الهدوء والطبيعة في المحافظات، والبُعد عن الصخب والاكتظاظ، أفضل وأجدى لرفد الموهبة الأدبيّة، خصوصًا وقد أصبح العالم بين أيدينا بفضل عصر التكنولوجيا والعولمة.

فـالأدب لا يُحصـر بزمـان أو مـكان، بـل هـو نبـراسٌ مُنيـر لا يحـدّه حـدّ ولا يقطعـه أحـد، ولثـورة الاتصـالات والإنترنـت، ومواقـع التواصـل، الـدور الكبيـر في نشـر الثقافـة علـى نطـاق أوسـع، وبزمـنٍ أقـلّ وسـهولةٍ أكبـرَ. وهُنـاك مواقـع إلكترونيّـة كبيـرة مُخصّصـة للقُـرّاء والكُتّـاب، وكلّ مـا يتعلّق بالثقافة الأدبيّة، تمنـح الكُتّـاب والأُدبـاء مسـاحةً أوسـعَ وجمهوراً أكبـرَ، ومـن خلال تجربتـي المتواضعـة، لمستُ أنَّ الكتـبَ الإلكترونيّـةَ تشـهد رواجًـا وإقبـالًا كبيـرًا، يتزايـد علـى حسـاب الأعمـال المطبوعـة، ونحـن بـلا شـكّ في حاجـةٍ ماسّـةٍ للتكنولوجيـا، كاسـتخدام مباشـر في الحيـاة العمليّـة أو الثقافيّـة.

ولطالمـا اجتهـدتُ وسـعيتُ لنشـر روايتـي عـن طريـق المواقـع الإلكترونيّـة المخصّصـة لذلـك؛ لسـهولة وضعهـا بـين يـدي القـرّاء، ولسـهولة التواصـل معهـم، ومعرفـة آرائهـم وملاحظاتهـم ومراجعاتهـم، وذلـك أجمـل مـا يتمنّـاه أيّ كاتـب. وليسـت تلـك المواقـع بهـدف الوصـول للقـرّاء فقـط، بـل لهـا دورٌ كبيـرٌ للوصـول إلـى الكُتّـاب والنُقّـاد، والأعمـال الأدبيّـة العربيّـة والعالميّـة، وسـهولة الوصـول إليهـا والتعامـل معهـا.

إنَّ جهـود مديريّـة ثقافـة الكـرك عديـدة ومتنوّعـة، وتسـتحقُّ الثنـاء والتقديـر لـكلّ العامليـن فيهـا، وقـد لمسـنا تغييـراتٍ كبيـرةً في الأنشـطة، والشـكرُ موصـولٌ لمديـرة ثقافـة الكـرك عروبـة الشـمايلة؛ لمـا حقّـقَتْـهُ وأنجـزَتْـهُ علـى مسـتوى المحافظـة مـن الفعاليّـات الثقافيّـة، وإشـراك وتوسـيع الأسـرة الأدبيّـة داخـل المحافظـة.

منحوتة صلاح الدين الأيوبي للفنان كرام النمري/ الأردن

أمّـا مـا ينقـص المحافظـة لتفعيـل الحـراك الثقـافيّ، فأعتقـد أنَّ سـائر المحافظـات – كمـا محافظـة الكـرك – في حاجـة إلـى جهـد أكبـر وانتشـار أوسـع إقليميًـا وعالميًـا، وضـرورة التركيـز علـى السـؤال السـابق حـول اسـتغلال ثـورة الاتصـالات والإنترنـت في نشـر الثقافـة والأعمـال الأدبيـة بصـورةٍ أفضـل؛ إذ إنَّ بعـض المواقـع والتطبيقـات، والمجموعـات الأدبيّـة الإلكترونيّـة، تشـهد تفاعـلًا كبيـرًا، يكـون غالبًـا أكبـرَ مـن التفاعـل علـى الواقـع، فكمـا أنّ هنـاك ترويجًـا للسـياحة وجذباً للسـيّاح، يجـب أن يكـون هنالـك ترويـجٌ للثقافـة ومواكبـةٌ للتطـوّرات في مجـال الإنترنـت ومواقـع التواصـل الاجتماعـيّ؛ لضـمّ عـددٍ أكبـرَ مـن الشـرائح الأدبيّـة.

وأهـمّ مـن كلّ ذلـك، هـو نشـر محتويـات هامّـة وهادفـة، تعكـس هويّـة المحافظـة أو البلـد وثقافتهـا، عوضًـا عمّـا نقـرأ ونشـاهد مـن تـردّي المحتويـات المنتشـرة وزخمهـا مـع كلّ أسـف. وقـد شـاهدتُ أعمـالاً وأنشـطةً لمديريّـة ثقافـة محافظـة الكـرك، تُثلـج الصـدر، وقـد اسـتهدفت طُـلّاب المـدارس بمختلـف المراحل، وهـذا جهـدٌ عظيـمٌ ونهـجٌ سـليمٌ تُشـكر عليـه المديريّـة؛ لمـا لـه مـن الأثـر النفيـس في إنشـاء أجيـالٍ واعيـةٍ تهتـمّ بالثقافـة ومجالاتهـا، وتذكـي المواهـب والإبداعـات والأفـكار للأطفـال والشـباب، وتُعـزّز دورهـم، وتنمّـي قدراتهـم للمعرفـة والتعلّـم، والعمـل والنجـاح.

هـذا وأُشـير هنـا وأختـم حديثـي بـأنَّ تفعيـل الحـراك الثقـافيّ، ليـس منوطًـا بمديريـة الثقافـة وحسـب، بـل هـو مسـؤوليّة تقـع علـى عاتـق جميـع المؤسسـات المدنيّـة والجمعيّـات الخيريّـة والتعاونيّـة، والاتحـادات والنـوادي، وحتـى القطـاع الخـاصّ لـه دورٌ في هـذا الشـأن، والتعـاون والتكامـل مطلـوب بـين الجميـع لأهميّـة الثقافـة علـى مسـتوى الفـرد والمجتمـع.

الشاعر إبراهيم المبيضين

للكرك حضورٌ جماليٌّ يمدّ الشاعر بطاقة عالية

عروة المصاروة [1]

الإنسانُ ابنُ بيئته كما يقول ابن خلدون، فسلوك الإنسان وطباعه وثقافته، ما هي إلّا امتدادٌ لعناصر بيئته، وطريقته في التواصل والتعاطي معها، فهي التي تصقله وتلوِّنه حسب جغرافيّتها ومناخها، وينغرس المكان في أعماقه، وينعكس على حياته وسلوكه وإبداعه، وليس أدلَّ على ذلك قصةُ الشاعر عليّ بن الجهم، عندما جاء من عمق البادية؛ ليمدحَ الخليفة المتوكّل، فقال فيه:

«أنتَ كالكلبِ في حفظِكَ الودّ

وكالتيسِ في قِراعِ الخطوب».

فهمَّ الحاضرون في توبيخه وتقريعه، لكنَّ الخليفة أدرك أنَّ الشاعر يتكلّم بألفاظ بيئته وصورها الجافّة، فأمر له الخليفةُ بدارٍ يعيش فيها في حاضرة العراق، على ضفاف نهر دجلة مدة من الزمن، فلمّا عاد ليمدحَ الخليفة، قال فيه قصيدةً جاء في مطلعها:

«عيونُ المها بينَ الرّصافة والجسرِ

جلبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري».

لقد خشُنَ لفظه لخشونة مكان إقامته في الأولى، ورقَّ شعره لمّا رقّ مكان إقامته في الثانية، ولمّا كانت الكركُ التي أعيشُ فيها مدينةً شاهدةً على التاريخ، وحصناً للملوك على مرّ الزمن، وأرضَ الهيّة، ومرقى الشهداء إلى السّماء، فكان لها تأثيرٌ واضحٌ في شعري وتوجّهي الأدبيّ، فهي مسقط الرأس، ومهوى الفؤاد، فيها رفقاء الطفولة وزملاء الدّراسة.

1. شاعر نشر نصوصه ومقالاته في مجلات أردنية وعربية، وله مجموعة يعدّها للطبع.

كما أنَّ للمكان أثراً كبيراً في تحديد الطبائع النفسيّة والجسديّة المتسربلة لساكنيه، فأخالُ نفسي أتّحدُ مع المكان، ومبعثُ هذا الاتحاد جينات العزة والكرامة المتوارثة لدى الكركيّ، والممتدّة نحو جينات العربيّ المنتمي إلى صحرائه، والوفيّ الذي يصون وطنه وعِرضه، كما أنَّ تسيّدَ الذات في المكان الكركيّ، يعني لي التمسّك بالهُويّة والانتماء الجغرافيّ، وأتفق مع شاعر الكرك المفتي الذي يقول :

أنا الكركُ الشمّاءُ جوداً ومعقلا
أتاني جثيّاً كلُّ فحلٍ صميدعِ
فجدّي مؤابيُّ الأصولِ مهيب
وهل للعوادي قارعٌ غيرُ ميشع
أتاني صلاحُ الدّينِ أرخى جدائلي
وأجلى سوادي بالحديدِ المُدرَّعِ
لأكتبَ من فوحِ العذيرِ قصائدي
وأنسجُ من خيطِ المهابةِ ملفعي
فأهلي كرامُ القومِ لانوا سماحةً
لمَنْ جاءَهم بالودِّ بعدَ تَضَعْضُعِ

وبخصوص تأثير مَنْ سبقوني من كُتّاب المحافظة على كتاباتي، فلا شكّ أنَّ الإنسان يتأثّر بما يقرأ، وهو دائمًا توّاقٌ لقراءة أدباء ومبدعين من محيطه الثقافيّ، فقد قرأتُ لشعراءَ كثيرين من محافظة الكرك، أتاح لي ذلك كتابٌ ألّفته والدتي الدكتورة سماح سميرات، بعنوان (سلطة المفردة الشعريّة لدى شعراء الكرك)، حوى شعرًا لأكثرَ من أربعين شاعرًا كركيًا، كان شعرُهم عبارةً عن وثائقَ لوجودهم، وتأكيداً لحالة إبداعهم خلال مئة عام من مسيرة الكرك نحو الإبداع الشعريّ.

منهم الشاعر إبراهيم المبيضين، والشاعر أسامة المفتي، والشاعر حامد المبيضين، ونجيب القسوس، وحكمت النوايسة، وصيام المواجدة، والشاعر ماجد المجالي، وعاطف الفراية، وأحمد الحشوش. والشاعرات الكركيّات مثل بسمة الفراية، وهدى الرواشدة، وخديجة الحباشنة، ورويدة الضمور، وغيرهم.

كان لهذا تأثيرٌ إيجابيٌّ في حياتي الأدبيّة، أعطاني كثيرًا من مفاتيح الشعر وتِقنيّاته، وأضيف إلى ذلك أنّي قرأتُ كلّ قصائد والدي الدكتور جزاء المصاروة منذ طفولتي إلى اليوم، فأثّر فيَّ كثيرًا، وهداني إلى كتابة الشعر.

وللكرك حضورٌ دينيٌّ، فمدينتي استقبلت سيدنا موسى – عليه السلام – ووقعَتْ معركةٌ حاسمةٌ على أرض مؤتة، فتناسل المكان ليكونَ فوقه أكبرُ صرحٍ علميّ وعسكريّ، جامعة مؤتة السيف والقلم. وللكرك حضورٌ تاريخيّ، يشهد لهذا الحضور قلعة الكرك الشامخة، وحروب الملك ميشع الذي تركه نقشه شاهداً عليه، ومعركة الكرامة التي انطلقت من الغور لتسطّرَ البطولة والتضحية، وثورة الكرك (الهية) التي أثبتت الوجود الحقيقيّ للشخصيّة الكركيّة وللمرأة الكركيّة التي وقفت إلى جانب الرجال، أمثال بندر فارس المجالي، وهي زوجة رفيفان باشا المجالي، وشقيقتها مشخص زوجة الشيخ قدر المجالي، أول سجينتين سياسيّتين في بلاد الشام، بل في الشرق الأوسط.

فكانتا رمزاً للصمود، فقد ولدت بندر ابنها البكر حابس المجالي داخل السجن، كما كانَتْ ثالثةَ الفدائيّات الأمّ الثكلى التي فقدت ولديها علياء الضمور، زوجة الشيخ إبراهيم الضمور أحد زعماء الكرك، التي وقفت بجانب زوجها، حينما واجه إبراهيم باشا الحاكم التركيّ، ولأجل إيلاء النسوة المناضلات انطلقت الثورة التي اتّخذت شعارها من الشعر الشعبيّ الذي يردّد:

يا الله توكلنا عليك
يا سيّد المتوكلين
يا سامي باشا ما نطيع
ولا نعد رجالنا
يا سامي وش لك عندنا
هذي البلاد بلادنا
هذي البلاد بلادنا
وبلاد أبونا وجدّنا
هذي البلاد بلادنا
وبالسيف نحمي بلادنا
لعيون مشخص والبنات
ذبح العساكر كارنا

كما أنَّ للكركِ حضوراً جماليّاً يؤسّس طاقةً انتباهيّةً عاليةً للشاعر؛ ليُلهَمَ ويُبدِعَ، ويعانقَ فيها روحَ الحياةِ؛ ليرسمَ تضاريسها بروحه الشفّافةِ، ففيها شيحان، وشارع الخضر، والسيل (سارة)، والبحر الميت، وآثار القصر، والربّة، والقصور الأمويّة كقصر بشير وقصر الحرّانة وغيرها، وكلّها شواهد على حضارات تمنح الشاعر القدرةَ على التعبير والاتّكاء على الرمز في التعبير، فهي أشبه بالبحر بالنسبة للصيّاد، والأرض الخصبة بالنسبة للمزارع.

وعلينا أن نُشيرَ إلى أنَّ المحافظات البعيدة عن عمّان، تعاني دائماً من التهميش الثقافي، فنحنُ نعيش في ما يمكن تسميته بالأطراف الباردة، النشاطات الثقافيّة فيها محدودة، والحواضن الثقافيّة شبه معدومة، وإن وُجِدَتْ فغالبًا ما تكون مقصورةً على شعراء كبار معروفين، أمّا الناشئة والمبتدئون، فلا يلقَوْنَ الاهتمام والحفاوة، ممّا قد يُطفئ موهبتهم أو يُخفّف من جذوتها، وذلك بخلاف العاصمة التي تعجّ بالأندية والحواضن الثقافيّة في كلّ زاويةٍ من زواياها.

وبخصوص مساهمة ثورة الاتصالات (الإنترنت) في قدرتي على تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ، فالتواصل الرقميّ، وثورة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعيّ، نقلت حياة الناس نقلة نوعيّة في كلّ المجالات، وقد فتحت أمام الشعراء الكبار والمبتدئين آفاقًا جديدةً، وصار بإمكان الشاعر بثّ مشاعره من خلال الشعر على مواقع التواصل الاجتماعيّ، فيتلقّى ردودًا نافعةً في تقويم شعره، حيث يطّلع عليها بعض النقّاد والأكاديميّين والشعراء والمهتمّين بالشأن الأدبيّ.

كما أصبحَ الشاعرُ قادراً على قراءة إنتاج الآخرين، والتفاعل معهم والإفادة منهم، فأصبحت مواقعُ التواصل الاجتماعيّ نواديَ ثقافيّةً عابرةً للحدود، لكنَّ ما ينقص المحافظة، وكلّ محافظات المملكة، حواضن إبداعيّة مخصّصة للناشئة والمبتدئين، وأن تكون تحت ظلّ وزارة الثقافة، ممّا يوفّر الدعم الماديّ اللازم للقائمين عليها، وأن تُوجَّهَ مديريات الثقافة نحو الاهتمام بهذه الفئة، وخرطهم مع المبدعين الكبار؛ ليأخذوا بأيديهم نحو صقل الموهبة واكتمالها، وتعزيز الشعريّة لديهم، فلا شيء يؤثّر في الشاعر مثل الشعراء الكبار، وخلق جوّ من التنافس بين الشعراء.

كما يمكن تسجيل العتب على الجامعات التي تنأى عن النشاطات الثقافيّة التي تساعد المبدعين والمبتدئين من الشعراء في صقل مواهبهم وتنمية قدراتهم، خاصة أنَّها صروح علميّة تعجّ بالقامات الأدبيّة والنقديّة المُتخصّصة.

صيام المواجدة

ماجد المجالي

أسامة المفتي

نجيب القسوس

حكمت النوايسة

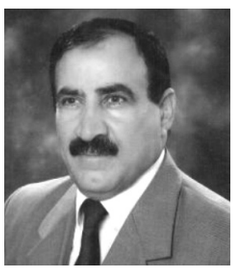
حامد المبيضين

عاطف الفراية

أحمد الحشوش

رويدة الضمور

قلعة الكرك/ الأردن

جبالُ الكرك
أول إلهاماتي وأعلاها

ليان الطراونة[1]

في محافظتي الكرك التي تتّسم بطابع العشائريّة والبداوة إلى حدٍّ كبيرٍ، لا يوجد الكثير من المثقّفين، وإذا يوجد، فهم يميلون إلى الانطواء؛ لأنَّه لا يوجدُ في مدينتي مَنْ يعزّز روح الثقافة لديهم، ولا توجد دورٌ تنمّي ما يحملونَ من أفكارٍ، فيضطرّون إلى طمس أفكارهم وإخفائها؛ لأنَّها في نظرهم مجرد أفكار، ولا يعلمون أنَّ بالفكر تنهضُ أممٌ، وتُبنى أوطان.

وبكلّ صراحةٍ قرأتُ لعدد محدود من الكُتّاب الذين سبقوني، لكنّني أجزم بأنَّهم أفضلُ منّي مئاتِ المرّات، فهم مَنْ عاصرَ حصادَ القمح، وقطفَ الزيتون، وتهديبَ الشماغ الأحمر، فكلُّ هذهِ الأشياء هي مصدرُ إلهامٍ لهم، أمّا بالنسبة لكُتّاب هذا اليوم، فهم ينشغلون في بحرِ القضايا التي لا نهايةَ لها، والذي يمتدّ من الغرب إلى الشرق، فيغوص الكاتب فيه ويغرقُ في حبر قلمه!

أمّا عن تأثيرات المكان، فجبالُ الكرك، وميشع المؤابيّ، ومعركة مؤتة، وأبطال (هيّة الكرك)، كانوا الإلهامَ الأوّلَ لي، أذكرُ أنَّ أولَ خاطرة لي كانت عن (هيّة الكرك) عام ٢٠١٠، عندها كنتُ طفلةً في عمر سبع سنوات، أتطوّق لمعرفة ما حدث حينها، أعلمتني أختي بما جرى، وما زلتُ أستذكرُ

1. كاتبة مبتدئة صدر لها (حرف بنكهة يافعة)، وما تزال تواصلُ دراستها الإعداديّة.

الفضولَ الذي اعتراني، فلم أجد سوى قلم ودفترِ مذكّراتٍ اشتراه لي والدي في عيد ميلادي، وبدأتُ أخطُّ مندفعةً، وخطّي يميلُ يمينًا ويسارًا كلّما كتبتُ، حينها أدركتُ أنّني ألجأ إلى الكتابة في كلّ حالاتي.

لقد أثّر بُعدُ المحافظة عن العاصمة كمركز ثقافيٍّ على نشاطي بشكلٍ كبيرٍ، فعند نشري لكتابي الأول، كان همّي الوحيد كيف أخبر وزارة الثقافة بذلك، كنتُ أودُّ أن يعرفني الشعبُ الأردنيّ، عندها قطعتُ ثلاثَ ساعاتٍ في الطريق، وفي أثناء ذلك احتلّتني الأفكار واستوطنت جويف، كيف لو لم يعجبهم ما أكتب، أو حتى إذا انتقدوا ما أكتب، هل سأكمل؟

عندما وصلتُ كان الترحيبُ يُحرّرني، ويعلنُ رايةَ النصر، رحّبوا بصغر سنّي، وفي كتابي لن أنسى الكلمات التي رافقتني طيلة سعيي وكدّي، ولا يمكنني أن أنكر أنَّ ثورة الاتصالات (الإنترنت) ساهمت في قدرتي على تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيِّ العربيّ، فأنا أملك حساباً يتجاوز ثلاثينَ ألفاً على تطبيق تيك توك وعلى تطبيق إنستغرام، كما أملك حساباً يتجاوز عشرةَ آلافٍ، بصراحةٍ أناقشُ فيه مواضيعَ ثقافيّةً متنوّعةً، وهذا ما صقل أسلوب الحوار والمناقشة لديّ.

الإنترنتُ يُساعد الكثيرَ من الكُتّاب الذين لم يُكتشَفوا بعد، وأنا متأكّدةٌ أنَّ هناك كُتّاباً بسبب الإنترنت، ولغتهم الكتابيّة التي تفاجئ أدمغتنا بتوصيل مشاعرنا عبرَ الكلمات، سيصبحون عظماء بلا شكّ.

أمّا عن الذي ينقص المحافظة لتفعيل الحراك الثقافيِّ، فهو الوعي بأهميّة الحراك الثقافيِّ، في مدينتي لا يوجد الكثيرُ من الكتب كما هو الحالُ في عمّان، ففي وسط البلد في كلّ زاويةٍ هُناك كتابٌ يحكي قضيةً مُعينةً، أنا أقدّر دورَ مديريّة ثقافة الكرك في هذهِ الأمور، لكنّنا نتوقّع دائماً الأفضل؛ لأنَّ الكرك هي الثقافةُ ذاتها، نتوقّع أن يتمّ التركيز على الأدباء المستجدّين، والعمل معهم على مشاريعَ أدبيّةٍ كبيرةٍ لمستقبلهم ولمستقبل الكرك.

مدينة الكرك/ الأردن

الدكتورة هند أبو الشعر تتسلَّم وسام التميّز والإبداع من الدرجة الثانية
من صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين عام 2016م
تقديراً لتميّزها في مجال الأدب ولجهودها في كتابة تاريخ الأردن.

ملتقى الأجيال

د. هند أبو الشعر

صفاء أبو خضرة

جيلان يتحاوران في المعنى

هند أبو الشعر وصفاء أبو خضرة

حاورتها صفاء أبو خضرة

جيلان يتحاوران في المعنى

هند أبو الشعر وصفاء أبو خضرة

(يحدّني من القلب الشعر، ويحدّها من الروح التاريخ).

خرجَتْ من الأساطير بكلّ أناقة، عشّشت في قلبها المُدن والحضارات، أرّخت صهيل الخيل في الصحارى، ورسمت خريطة النجوم لشعوب قديمة، كلّ ذلك وأضاءَتْ طريقاً معبَّداً نحو مستقبلٍ مشرقٍ، إنَّها الدكتورة هند غسّان توفيق أبو الشّعر، أديبة وباحثة أردنيّة، لها العديد من المؤلفات.

ولـدت في مدينة عجلـون شـمال الأردن، عملـت في عـدد مـن المدارس الحكوميّة، وأنهت الدراسـات العليـا عـام 1994، حيث أكملَتْ عملها في الجامعات، والذي بدأته في الجامعة الأردنيّة، ثم جامعة آل البيت، وترأّست تحرير عدد من الدوريّات الأدبيّة المطبوعة. قـدّمت برنامجاً إذاعيّاً توثيقيّاً في الإذاعة الأردنيّة بعنوان (أوراق أردنية) لثلاث دورات (2011–2005).

لها من الأعمال: (شقوق في كَفّ خضرة)، (المجابهة)، (الحصان)، (عندما تصبح الذاكرة وطناً)، (الوشم)، والأعمال الكاملة (الشعر، القصة القصيرة، النصوص، المشاهد المسرحيّة)، و(مارشات عسكريّة)، ولها عدد كبير من الأعمال، خاصة في التوثيق والتاريخ الاجتماعيّ، وتاريخ شرقي الأردن خلال الفترة العثمانيّة، من بينها: (حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة)، و(إربد وجوارها.. ناحية بني عبيد 1928–1850)، و(تاريخ شرقي الأردن في العهد العثمانيّ 1516–1918)، و(سجلات الأراضي في الأردن 1960–1876).

حاورتها صفاء أبو خضرة، وهي كاتبة أردنيّة مقيمة في إربد، وموظّفة في وزارة العدل الأردنيّة، حاصلة على دبلوم برمجة حاسوب، وعضو في رابطة الكُتّاب الأردنيّين، وعضو هيئة إداريّة في فرع رابطة الكُتّاب الأردنيين بإربد للعامين (٢٠٢٠–٢٠٢٢)، وعضو اتحاد الأدباء والكُتّاب العرب، وملتقى إربد الثقافي.

أصدرت نصوصاً شعرية في كتاب بعنوان (ليس بعد)، صدر عام 2002 بدعمٍ من أمانة عمان الكبرى، عن المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، وأصدرت نصوصاً شعرية في كتاب بعنوان (كأنّه هو) عام 2008، بدعمٍ من وزارة الثقافة، عن عالم الكتب الحديث.

لها مجموعة قصصية بعنوان (فلامنكو) صدرت عام 2017 طباعة شخصيّة، ورواية (أنيموس) عن دار فضاءات للدراسات والنشر، صدرت عام 2019. شاركت في العديد من الأمسيات الأدبيّة والندوات الشعريّة في مختلف مناطق المملكة، ونشرت العديد من المقالات والقراءات في الصحف المحلّيّة والعربيّة والمواقع الإلكترونيّة، وقريباً ستصدر لها رواية جديدة.

● بعضنا لديه إجابة تؤرّقه، لكنّه لم يجد مَنْ يسأله السؤال صاحب تلك الإجابة، فلتعتبرينا تلك المرأة التي تقف قبالتها أناكِ الداخليّة، وما بين حوار وربّما عتاب، تسألين: لماذا؟ ماذا لو؟ وربما لو فعلتِ؟ ماذا ستكون تكملة السؤال؟

– بداية محفّزة وغير عادية، وأصارحكِ بأنّني اعتدتُ على الأسئلة التقليديّة التي أجدها تتكرّر، أمّا أن أجدَ نفسي مع هذه التساؤلات المصيريّة وجهاً لوجه، فإنَّ هذا يستفزّني، ويجعلني أتوقّف عند ماذا لو؟ كلّنا نسأل أنفسنا في مرحلةٍ ما من عمرنا: ماذا لو؟ وكأنّنا شخصيات روائيّة تُحاسب نفسها بحوار داخليّ جريء.

أمّا أنا، فهذا التساؤل يجعلني أقف عند مرحلة البدايات في حياتي، كنتُ قد أنهيتُ مرحلةَ البكالوريوس، ووجدتُ نفسي أمام حالة من الاختيار الصعب، إمّا أن أقبل بالعمل في وزارة التربية والتعليم معلّمةً، أو أن أذهب إلى إحدى الجامعات الأمريكيّة التي راسلتُها، وأعطتني فرصةً للدراسة، وما يتبعها من تغيير، كان يمكن أن يتغيّر كلّ مجرى حياتي، إحدى هذه الجامعات العريقة قبلتني لأنّني كتبتُ في سيرتي الذاتيّة أنّني أكتب الشعر وأرسم.

أنا أريدكِ الآنَ أن تتصوّري ماذا لو ذهبتُ إلى هناك؟ ماذا لو؟ أمّا أنا فلا يقتلني الندم الآن؛ لأنّني أعرفُ تماماً أنَّ تراب هذا الوطن هو الذي انغرس في لحم شخصيّات قصصي، وفي كتبي التي أرّختُ فيها لوطنٍ يسكنني.

● نحن اليومَ في زمن الثورة التكنولوجيّة، بات الهاتفُ النقّالُ صديقَنا الحميم، حتى إنَّ بعضنا يمارس الكتابة عبره، وأنا منهم في كثير من الأحيان، أفتحُ مفكّرة الهاتف وأكتبُ فيها ما تيسّر لي من أفكار، لن أسألَكِ عن طقوسكِ في الكتابة، ولكنّي أسألك عن مدى تأثير هذا العصف التكنولوجيّ في طقوسك تلك؟

– ربّما كنتُ من أقدم الذين استخدموا هاتفاً متنقّلاً في الأردن؛ لأنّني ببساطة كنتُ أسافرُ يوميّاً عبر الطريق الدوليّ بسيّارتي لأصلَ إلى مكان عملي في جامعة آل البيت في المفرق، وهذا يعني أنّني أسافر وحدي صيفاً وشتاءً، وأعودُ بعدَ الساعة السادسة ليلاً في طريقٍ غير مضاء وحدي، في حين كانت غالبيّة العاملين يتنقّلون بالباص.

صحيحٌ أنَّ هذا الطريق اليوميّ يُعطيني فرصةً أن أكتب قصصاً مليئةً بالرعب، أو أن أتفوّق في كتابة نصوص أفلام تبعث الإثارة، لكن في المقابل كان يجب أن أحميَ نفسي من مفاجآت الطريق، فكان أن امتلكتُ هاتفاً خليويّاً منذ البدايات، فكان رفيقي ومبعث شعوري بالاطمئنان، لذلك أحسنتُ استخدامه لأسباب أمنيّة.

أمّا استخدام الحاسوب، فمسألةٌ أخرى، أنا الآن ومنذ أكثر من خمسةَ عشرَ عاماً، أؤلّف كتبي وأكتب قصصي مباشرةً على اللاب توب، لذلك ساء خطّي بدرجةٍ كبيرةٍ، كانت طقوسي زمن قلم الحبر السائل تعتمدُ على الورق الناصع وقلم خاصٍّ، وكنتُ أكتب بخطٍّ صغيرٍ وأنيقٍ، وأريدُكِ أن تعرفي أنَّ هذه النقلة التقنيّة مدهشة ورائعة، أنا في عام 2021م، ألّفتُ موسوعةً من أربعة مجلدات في تاريخ الأردن في عهد الإمارة، وبواقع 2000 صفحة، وأيضا كتاب (القدس في أواخر العهد العثماني)، بواقع 500 صفحة، وكلّها كتبتُها باستخدام اللاب توب، ومباشرةً بدون ورقٍ ولا قلم، هذه نعمةٌ حقيقيّةٌ، وأنا أستمتع بالتأليف بهذه الطريقة.

ثم إنّني أريدكِ أن تعرفي أنّني كنتُ من أوائل الذين وظّفوا برامج مثل (إكسل) في دراساتي في التاريخ، وربما كنتُ أول من استخدمها في الأردن في دراسة التاريخ، وطبعاً استهجنَ الزملاء هذا، واعتبروه خروجاً على الكتابة التاريخيّة التقليديّة! نعم استخدمتُ الأشكال البيانيّة، والجداول، والأرقام والإحصاء في دراساتي لتاريخ الأردن الاقتصاديّ، وكلُّ هذا بفضل التكنولوجيا، إنَّها نعمةٌ لا مثيل لها.

● كنتُ أسمع جدّتي تقول كنايةً عن اختلاف الشكل بين الأبناء من الأمّ الواحدة: «البطن غابة». تنوّعت أشكالُ أعمالك، واختلفت وتباينت ما بين الشعر والقصة والتاريخ، أرى أنَّ وجه الشبه بينها قائم لا محالة، فكما تحفرين في التاريخ وصولاً لفكرة البحث، تحفرين أيضاً في الحكايات ليكتملَ خلق الشخوص والأحداث في قصصك، لكن لا بدّ أنَّ أحدَ هؤلاء الأبناء أقربُ إلى قلبك، من هو؟

– أظنُّ أنَّ المقولةَ التي تؤكّد بأنَّ الفنونَ متداخلةٌ صحيحةٌ جداً، أنا لا أستطيع أن أجد حواجزَ بين كلّ هذه الفنون والأشكال التي أمارسها، بدأتُ أكتب الشعر، كان ذلك في البدايات المبكّرة جداً، درّبتُ نفسي على لغة الشعر، كتبتُ العشرات من القصائد وبغزارة، ودون أن أعرفَ بحور الشعر مثلاً، وبعدها انتقلتُ بشكل تلقائيّ نحو كتابة القصة القصيرة، وكنتُ قد امتلكتُ القدرة على التعبير والتشكيل الفنّيّ.

وأعتقد أنّني أيضاً لم أجد صعوبةً في هذا الانتقال الذي حدث بهدوء عندما كنتُ أدرسُ التاريخ في الجامعة الأردنيّة، حيث انفتحت أمامي أبواب الروايات والقصص التاريخيّة، وكانت لغةُ المقالة الصحفيّة مطواعةً في يديَّ وجميلةً؛ لأنّني كنتُ أومن بأنَّ عليَّ أن أخاطب قارئ الصحيفة اليوميّ بلغة مباشرة، ولكن جميلة، وأعتقد أنّني نجحتُ في هذا؛ لأنّني كتبتُ زوايا أسبوعيّة في كلّ من صحف الرأي والدستور لسنوات طويلة، وكانت لي علاقات محبّة كبيرة مع القراء.

صحيحٌ أنَّ هناك لغةً مختلفةً في كتابة المقالة عن اللغة الإبداعيّة في الشعر والقصة، ولكنَّ القلمَ مطواعٌ وذكيّ بالتحوّل من شكلٍ إلى آخر، أمّا المشكلة الحقيقيّة لديَّ، فهي في لغة الدراسات التاريخيّة، وهي منهجيّة وعقلانيّة، وهذا أرّقني لفترةٍ وهزّ كياني، وكان عليَّ أن أختار بين أن أكونَ كاتبةَ قصةٍ قصيرةٍ ومقالةٍ صحفيّةٍ، وبين أن أتحوّلَ لأكاديميّة تُخاطب العقل وتلتزم بالمنهجيّة، أنا استطعتُ أن أطوِّعَ لغةً خاصةً بي في دراساتي التاريخيّة؛ لأخاطب العقل، ولا أُربك القارئ بلغة جافّة وجامدة.

تبقى لغتي في القصة هي نبض القلب، ولغتي في الدراسات التاريخيّة هي صوت العقل والمنهجيّة، أحاول ألّا أكونَ صارمةً، وخاصةً في كتبي الجديدة التي أحاول فيها التقليل من التوثيق، والانحياز قليلاً نحو القارئ اليوميّ، وطبعاً لكلّ من هذه الفنون والممارسات لونه وعشقه الخاص في قلبي.

• كنتِ في مواجهة مع التاريخ، وأقول مواجهة؛ لأنَّ كتابة التاريخ ليست بالأمر السهل، ليست كتابة قصة من الخيال نستطيع أن نبدأ حياة بطلها ونُنهيها، ليس قصيدة ننظم بحرها ونُقيم عليها حدّ الشعر، ليست رواية نستطيع أن ندور في حلقاتها مثل صوفي، ونُثير الفوضى والحروب، كنت في مواجهة مع السومريّين، والآشوريّين، والفراعنة، والعمونيّين، والمؤابيّين، والأنباط، وأساطير اليونان، وعالم روما وبيزنطة، وأجدادنا العرب منذ الغساسنة وبني أمية والعباسيّين وغيرهم، انطلاقاً من هذه المواجهة، هل تكتبين التاريخ برؤيته التي كانت عليها، أم تكتبينه برؤية مستقبليّة؟ هذا هو الشّقّ الأول من سؤالي، أمّا الشّقّ الثاني، فهو: هل تجدينا كشعوب عربيّة اليومَ مقارنةً بالعرب القدماء، قادرين على النهوض من وحل الحروب والفساد والتخاذل على كلّ الأصعدة؟

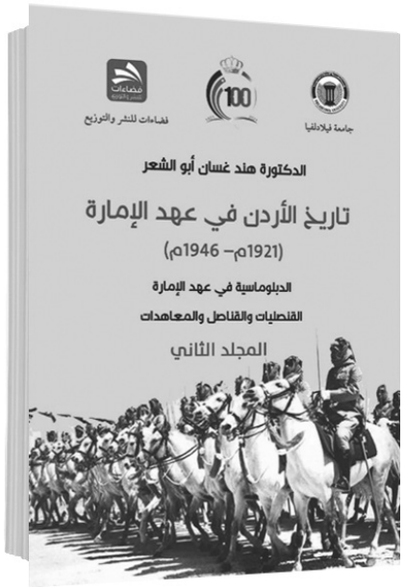

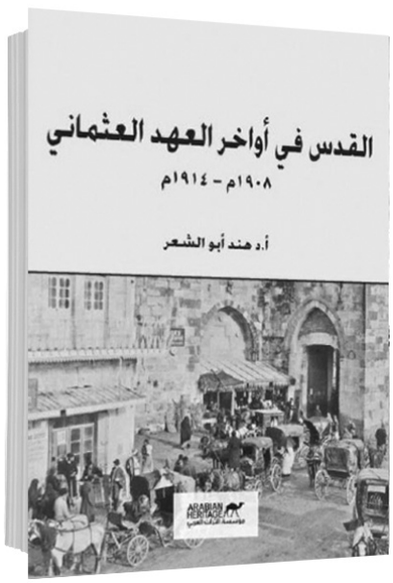

– هذا السؤال الكبير يختصر محاضرةً لي قدّمتها قبل عامين في المركز الثقافيّ الملكيّ، طالبتُ فيها مع المئويّة الثانية للدولة الأردنيّة أن نُعيد النظر في منهجيّتنا بكتابة تاريخنا، وقلتُ إنَّ علينا أن نتوجّه للكتابة للجيل القادم، ولا نكتب للجيل الحاضر فقط، وأن تكون أساليبنا مستقبليّة؛ بمعنى أن نتطلع إلى معطيات العصر، ومنها أنَّ هذا هو عصر الصورة، وعصر التِّقنيّات الفائقة، ولا يجوز لمن يكتب التاريخ أن ينسى أنّه يتوجّه للجيل القادم بلغته واهتماماته،

وطريقته في التفكير، فلا يجوز مثلاً أن نتحدّث عن الوضع الاقتصاديّ بلغة أدبيّة، ولا نُحلّل الإحصاءات باستخدام لغة الأرقام وجدولة المعلومات باستخدام الأشكال البيانيّة، وأرجو أن يأخذ الزملاء من الذين يكتبون التاريخ في الأردن بهذا التوجّه.

أمّا الشّقّ الثاني من السؤال، فأنا أثقُ تماماً بالطاقات الشابّة، ولا أقبل بأن يتسرّبَ الشّكّ إلى نفسي من معطيات المستقبل، هناك فارق كبير بين ما كان متاحاً لدى أجيال القرن العشرين، وبين ما وضعته التّقنيّات في حضن هذا الجيل، وهذا مصدر قوة، بحيث أصبح العربيّ يوازي في طاقاته ما يحصل عليه الغربيّ أو الصينيّ أو الروسيّ، فلماذا لا يستفيد من هذه النعم التي وضعَتْها المعرفةُ التّقنيّة بين يديه؟

لا أخاف على الأمة ولا أشعر بالتشاؤم؛ لأنَّ العلم متاح في عدد كبير من الجامعات، والفرص الكبيرة متوفّرة في العالم كلّه، نعم يمكن تجاوز كلّ العثرات إن وجدنا مَنْ يُدير مقدّراتنا بوعي وفهم ورؤية مستقبليّة، وهو ما يتوفّر للجيل الجديد، لا أخاف من المستقبل، فالتاريخ يُذكّرنا بعشرات الحالات من السقوط، ولكنَّ النهوض بأيدينا، ما نحتاجه هو تثوير عنصر الإدارة التي تقتل كلّ شيء.

● كتابة التاريخ تحتاج جهداً على الصعيد الفكريّ والجسديّ والعاطفيّ، وقرأتُ لكِ مقولةً أعجبتني في أحد الحوارات: إنَّ المسألة ليست عقل رجل وعواطف امرأة... إذا اخترت الجزء الأصعب، أن تكوني الكلّ معاً. سؤال: كيف تستطيعين قراءة التاريخ، وهناك الكثير من الروايات والحكايات، مثلاً تاريخ العرب، هناك روايات صنعت منّا أبطالاً، بينما في روايات أخرى وللأسف شاهدت منها ما يعرض في الهوليود الأمريكي، عكس تلك الروايات تماماً، مَنْ ينتصر في النهاية في ظلّ لغة التكنولوجيا ولغة الصورة؟

– أنا لا أفهم ابتداءً كيف يمكن اجتزاء نعم الله علينا، بأن نصنّف العقل للرجل والعاطفة للمرأة، هذا أولاً، وهنا أتوقّف

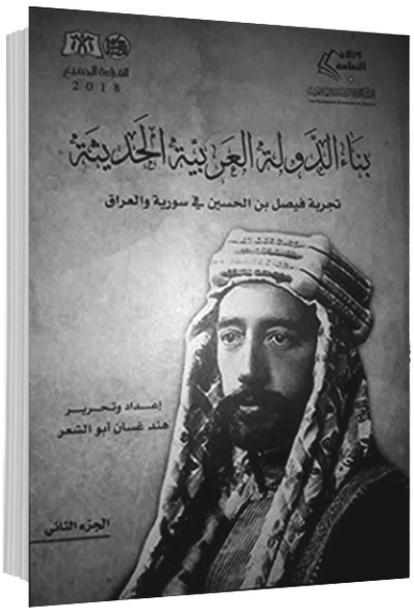

عند ظاهرة قلة عدد المؤرّخات في العالم كلّه؛ لأنَّ الاشتغال بالتاريخ مسألة تحتاج إلى جهود تَبني عبر سنوات وسنوات، وإلى الالتزام بالمنهج، وإتقان مواهب ومهارات كثيرة، مهارات لغويّة وتقنيّة بعد هذا الانفجار المعرفيّ والتِّقنيّ.

الخلاصة: هناك تدريب دائم وبحث لا ينتهي عن المصادر وفي المصادر، وأنا بقيت أُعلّم طلبتي في قسم التاريخ مثل هذه المهارات لسنوات طويلة، والأساس هنا أن يتمّ التدريب على التعامل مع الروايات التاريخيّة بمنهج وعقلانيّة، أمّا موضوع اختلاف الروايات، فهذا هو جوهر العمل بالعلم؛ لأنَّ مَن يكتب التاريخ يجب أن يكون موضوعيّاً، وهذا هو أساس الكتابة التاريخيّة، صحيح أنّه لا يمكن الوصول إلى كلّ الحقيقة، لكنّنا نحاول الوصول بموضوعيّة إلى ما نعتقد أنّه الجزء الأكبر من الحقيقة.

● هل المؤرِّخ مخلوق من قلق؟ أم أنَّ توازنه على الصعيدين الداخليّ والخارجيّ يتقاطع مع المفهوم الذي نعرف؟

– لا أوافقكِ على موضوع القلق بشكل تامّ، المفروض أنّه كائن يتعامل مع العقل ومعطياته، لكن هذا لا يمنعه من القلق، فهو كائن حيّ لا يستطيع أن يتخلّى عن عواطفه، شرط ألّا يجرفه عالم العاطفة ليُحجِّمَ الآخر ويضاعف حجم انتماءاته.

• أعمالك ما شاء الله كثيرة، تجاوزت الرقم واحد وثمانين كتاباً ربما في التاريخ فقط، هل تتّبعينَ منهجاً معيناً لتأليف الكتب، كمشروع مثلاً تقومين بهندسته أولاً، ثم تبدئين بالبناء؟ هل تقومين بتأليف أكثر من كتاب في آن؟ كتابين معاً مثلاً، أم تُعطين الكتاب الواحد كلَّ جهدك حتى الانتهاء منه؟

– سؤالٌ لا بدّ منه، نعم لكلّ كتاب شخصيّته ومواصفاته حسب موضوعه، كلّها تبدأ بجمع المادة، ومن بعد تصنيفها وتنظيمها ودراستها، وهذا يعني الوصول إلى مرحلة البناء التدريجيّ، ومن بعد ذلك يبدأ التشكيل الفنّيّ، وهذه عملية ذكيّة تتطلّب المعرفة، وهنا أحبّ أن أشير إلى طبيعة علم التاريخ الذي يتطلّب العودة للمخطوطات والوثائق، والسجلات والخرائط، وكتب التاريخ والجغرافيا، وكلّ المصادر المتاحة التي أصبح الوصول إليها أسهل مع عالم التِّقنيّات المتاحة.

وهذه من نعم عصر المعلومات المتقدّم، طبعاً أخطّط لمشاريعي، وأجمع مصادر معلوماتي، وبعضها ورقيّ، وبعضها الآخر إلكترونيّ، حيث أصبح لديَّ الآن مكتبتي الإلكترونيّة، وهذا يخفّف عنّي الكثير من عبء قضاء مئات الساعات في المكتبات.

• بعيداً عن التاريخ، أعرف أنّكِ نجمة تلمع كلّ ليلة، تحبّ الألوان، وتحبّ الموسيقى بشغف، قلمها أوتار، وأفكارها نوتات موسيقيّة، أوراقها لوحات فنّيّة تنتظر الريشة لترسم، أعرفُ أنّكِ كثيرة في واحدة، في القصة تجتاح بجسارة هذا الفنّ الناعم، وفي الرواية تخترق العوالم، تلجُ العتمة والضوء دون خوف، وفي التاريخ أنتِ صارمة وثابتة، وأعرف أنَّ أحلامك كثيرة وبلا نهاية، ماذا حلمَتْ هذه الطفلة؟ ومع كلّ تلك الإنجازات العظيمة هل حقّقَتْ حلمَها؟

– ما أجمل أحلام الطفولة! كنتُ أحلمُ بأن أكونَ فنّانةً تشكيليّةً عالميّةً، وصحفيّةً تكتب في صحف العالم، وكنتُ أتمنّى لو أغوص في أعماق المحيطات مع المرجان الملوّن، ويبدو أنَّ عالم السينما الذي قضيتُ فيه طفولةً سعيدةً، كان السبب في هذه الأحلام بالغوص في أعماق المحيطات، وطبعاً بدلاً عن كلّ هذا، أغوص الآن في أكوان بعيدة مع عالم القصة، لو عشتُ عشرات الأعمار، لبقيت أحلام الطفولة لا تتحقّق.

• قد يتقمّص الكاتب شخصيّةً ما من كتبه، يحبّها، يصقلها على طريقته، يُزخرفها بأحلامه وأفكاره، ربما الخفيّة، فتكون لسان اعترافاته وآماله التي لا يعترف بها في العلن، لو سألتكِ عن تلك الشخصية، إن كانت فعلاً كما أتصور؟

– أظنُّ أنَّ كلّ شخصيّة تتجسّد على الورق تُشبهنا في زمنٍ ما، ليس بملامحنا طبعاً، ولا بخصوصيّاتنا، ولكنّنا نتماهى معها، نحبّها أو نكرهها، نسمح لها بأن تنبض في دقّات قلوبنا، وأن تُحملق في وجوهنا صباحاً في المِرآة، ولا أعرف إن كنّا نستطيع أن ننساها، هي في الذاكرة المخفيّة، وهذا سرّ الكاتب وروعة الإبداع.

• من العوالم التاريخيّة التي غصتِ فيها وأرَّخْتِ لها، لو تخيّلنا قليلاً، وكانت لنا فرصة العودة بالزمن، مع أيّ تلك العوالم تحبّين أن تكوني؟

– يا الله ما أكثر هذه المشاهد التي عشت معها في كتب التاريخ!! فجأة تجلسين في بلاط سلطان أو خليفة، وتسمعين شاعراً يتجلّى أو جاريةً تغنّي، تُبحرين مع تجّارٍ من البصرة إلى الصين، تقفين على جبال الأوليمب، وتستمعين لخطب اليونان، تسيرين مع قوافل عرب الجنوب وهم يحملون اللبان والتوابل، ويستوقفك جلجامش وهو يبحث عن العشبة

المقدّسة، وتسمعين صوت أقدام تجّار أجدادنا الأنباط وهي تضرب حجارة السيق في البترا، اعذريني لا أستطيع أن أقرّر؛ لأنّي عشتُ أزمانَها كلّها في عقلي الذي لا يتوقّف عن التفكير والخيال الجميل.

● عادةً ما يغوص المؤرِّخ في المدن، ربما تتشكّل علاقة ما متشابكة معها، لكن لكونكِ شاعرةً وقاصّةً وروائيّةً وتشكيليّةً أيضاً، من المؤكّد أنَّ علاقتكِ مع المدن لن تكون مثل علاقة أيّ مؤرّخ، هل حدث أن كتبتِ أو درستِ عن مدينةٍ ما، وقمتِ بزيارتها، شعرتِ بأنَّها لامست روحك، وكأنَّكِ تعرفينها وتعرفكِ، كأنَّكِ تجوَّلتِ في شوارعها وتنسّمتِ رائحتها؟

– لي علاقة عجيبة، تتشابك فيها روحي وذاكرتي الخفيّة مع المدن، والمفارقة أنّني في مسيرتي الأكاديميّة أرتبطُ بالمدن، في الماجستير درستُ مدينة الكوفة، وفي الدكتوراة إربد وجوارها، وفي دراساتي كتبتُ عن غرناطة، والقدس، ودمشق، وحلب، والقاهرة، وبغداد، والبصرة، وإسطنبول. وفي الموادّ التي كنتُ أعطيها لطلبة البكالوريوس والماجستير، كنتُ أختار الموادّ التي تدرس المدن والحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

– نعم هذا ما أحبّه، أن أدرس بناء المدن وتكوينها، وطبعاً عندما أزور مدناً درستُها، وأعرف حاراتِها وأزقّتَها، وأبنيتَها وشوارعَها، فإنّني أجدها مألوفةً؛ لأنَّ عقلي يختزن كلّ ما قرأتُهُ عنها، والوضع الطبيعي أن أشعرَ بالألفة، ولكنَّ العجيب أنَّ بعض المدن لا أحسّ بأنَّ روحي تقبلها، وأنفرُ منها، ولا أدري لماذا، وبعضها أقسم بأنّني أعرف تفاصيلها، وترتاح روحي لها وتألفها دون أن أعرفها من قبل، لا أجد ما أقول أكثر من أنَّ للمدن رائحة تشبه العطور، أختارها وأحبّها، وأتركها تلتصق بجلدي، للمدن سيرة لا تنتهي في حياتي.

● لاحظتُ من خلال قراءاتي المتواضعة لبعض كتبك، أنَّك تواكبين العصر في لغتك وأسلوبك ومنهجيّتك، كما سمعتُكِ لقاءً في قناة (رؤيا) التلفزيونيّة، قلتِ: إنَّكِ لا تجرئين على كتابة قصة لهذا الجيل، تتحدّثين فيها عبر الهاتف الدوّار! نعم هذه هند أبو الشعر المؤرّخة والكاتبة المواكبة للعصر، المتجدّدة، المعاصرة، والعديدة بينك وبين هند، هل تتّبعين البحث في دراساتك عبر التكنولوجيا، أم ما زلتِ تتّبعين المنهجيّة الأولى، أم الاثنتين معاً؟

– نعم أنا قلتُ في مقابلتي مع قناة رؤيا إنَّني لا أجرؤ على الكتابة للطفل والجيل المستقبليّ؛ لأنّني أعرف أنَّ عليَّ أن أكتبَ بعقليّة مستقبليّة، وهذا أمر صعب؛ لأنَّهُ لا يتوافر لكلّ الكُتّاب، وأنا أعتقدُ أنَّ هذه مهمّة لا تتوفّر لكلّ من يحمل قلماً. أمّا عن طريقتي في جمع المعلومات، فقد استفدتُ جداً من التّقنيّات، ولديَّ مكتبة إلكترونيّة أعود إليها، مع أنَّ لدي مكتبةً ورقيّةً كبيرةً، لكنّني أجدُ العودة لعشرات المجلّدات المصوّرة بطريقة الـ(بي. دي. إف)، أسهل بكثير، وطبعاً لا بدّ من المزج بين الطريقتين، المهمّ هو المنهج وطريقة التفكير، ويظلّ العقل البشريّ هو الفيصل.

● وأخيراً لن أطلق سؤالاً، حضرتُ لكِ ذاتَ مرّةٍ أمسيةً قصصيّةً، وكعادتي أحبّ أن أتتبّعَ مسيرة الكاتب قبل الندوة المقامة له، امرأة بسحر البترا، شامخة مثل جبال الكرك، شجيّة مثل عمان، صافية مثل عجلون، عطرة مثل ياسمين إربد، راسخة مثل القدس، وقويّة مثل المعلّقات العشر، شكراً لكِ، لكلّ العوالم التي أعدتِ خلقها في الكتب، ومنحتنا رؤية المستقبل بعيون الماضي الجميل.

كلّ هذه الأماكن المدهشة كتبتُ سيرتها وأحببتُها بلا حدود، سعدتُ جداً بهذا الحوار الذي يُقدَّمُ لمجلةٍ شهدت نشر أول قصة كتبتُها ذات يوم في القرن العشرين، للجميع محبّة كبيرة.

لوحة الفنان هاني خزاعلة/ الأردن

لوحة الفنانة رهام غصيب/ الأردن

- خَجَلٌ مرضيٌّ ..... مروان البطوش
-حين غنّى آينشتاين: إيمتى الزمان (ده)، يسمح يا جميل؟ ..... زينة المعاني
- نحيب ..... سماح موسى
- في البَدْءِ كانَتِ الكلمة ..... وائل مكاحلة
- عَيْنُ حمد..... مرام رحمون
- غالية ..... تغريد أبو شاور
- الأمهات ..... رقية المعايطة
– الفرصة الأخيرة ..... آسيا الطعامنة

خَجَلٌ مرضيٌّ

مروان البطوش

سامِحْنا يا أبي
فملابسُنا التي جعلَتْ ديونَكَ واسعةً
ضاقَتْ علينا.

******

بي خَجَلٌ مرضيٌّ
سيُفقدُني اتّزاني
هكذا قالَ الطّبيب
كلّما زادَ مقاسُ قميصي نُمرةً
احمرَّ وجهي.

******

أمسِ كانَتْ خُطّتي
أنْ أشتريَ قميصاً
ولا أُفكّرَ في المقاساتِ
وأُشغِلَ عقلي بِعَدّ أزرارِهِ
كلُّ شيءٍ كانَ سيسيرُ على ما يُرام
لولا أنَّ زِرّاً كانَ مفقوداً.

******

لو كُنّا عُراةً
لو لم تكُنْ للملابسِ سطوةٌ
لكانَ أبي يضحكُ الآن
ولكنتُ أنا – رُبّما – أبتسِم.
قلبي مريضٌ بالجميع
ما كنتُ لأغرقَ
لو أنّني تشبّثتُ بيدكِ حينَ مددتِها إليّ
بدلاً مِنْ أنْ أُقبِّلَها.

******

تخطيط للفنان ياسر وريكات/ الأردن

قلبي مريضٌ بالجميع

قد يُضمّدُ شرخَ سكّينٍ

طعنَتْهُ.

وقد يمسحُ على جبينِ رصاصةٍ

ثقبَتْهُ.

وقد يبكي على رحيلِ نوبةٍ.

******

قلبي مريضٌ بي

يرى

مِنْ حيثُ أكتب.

العرَقُ المقدّس

خيّرني أبي

قبلَ عشرينَ عاماً

وكانَ قد آنَ في حينِها أوانُ رواتبِ آخرِ تمّوز للعسكريّينَ

بينَ أنْ يشتريَ لي

«بسكليتاً»

وبينَ أنْ يشتريَ

مروحة

وقَفْنا أمامَ مَحَلٍّ قليلاً

فقلتُ لهُ وكانَ صوتي ركيكاً:

يا أبي – وكانَ العرَقُ يقطُرُ مِنْ جبينِهِ –

أريدُ هذا «البسكليت»

فاشتراهُ مبتسماً

وعُدنا معاً إلى البيتِ

بابتسامةٍ شاسعةٍ على وجهي

ونهرٍ مِنَ العرقِ المقدّسِ

في قلبِهِ.

حين غنّى آينشتاين: إيمتى الزمان (ده)، يسمح يا جميل؟

زينة المعاني

أدركَ عالِـمُ الرياضيـات «هيرمـان مِنكوفسـكي» أنَّ نظريّـة النسـبيّة التـي أطلقهـا العالِـمُ الفيزيائـيّ «ألبـرت آينشـتاين»، وصفَتْ كونًا ذا أربعة أبعاد، وكما يرى منكوفسكي فإنَّ البُعد الزمنـيّ يندمـج مـع الأبعـاد المكانيّـة الثلاثـة (الطـول والعـرض والارتفـاع)؛ ليُشـكِّلَ الزمـان - المـكان (الزمـكان).

وبهذه الرؤية أخرجنا آينشتاين من عصر نيوتن الذي طالما اعتـبرَ الزمـانَ والمـكانَ شـيئينِ منفصلـينِ، ودخلنـا إلـى البعـد الرابـع الـذي أصلـح ذات بينهمـا، وبتنـا نعـرف – وإن لـم نفهـم تمامـاً – أنَّ الزمـنَ نسـبيّ، ويتوقّـف علـى سـرعة الأجسـام، وشـدّة الجاذبيّـة التـي يتحـرّك فيهـا الجسـم، وأصبـح تقلّـص وتمـدّد الزمـن مفهومـاً أساسـيّاً لفهـم الكـون، بعـد أن كنّـا نتعامـل مـع الزمـن علـى اعتبـاره ثابتـاً.

لـم يكن لآينشـتاين أن يتخيّـلَ أنّـه سـيُدندن بفيزيائـه الجديـدة هـذه، إجابـةً علـى سـؤال وجـوديّ مفصلـيّ وضـروريّ، طرحـه الموسـيقار عبـد الوهـاب: «إيمتـى الزمـان يسـمح يـا جميـل، واسـهر معـاك علـى شـط النيـل؟».

السؤال هنا ليس مجرّد سؤال عادي، إنّه سؤال يحمل بين طيّاته عتباً من قلة السماح، فما بالك لا تسمح يا زمان؟ يحمل السؤال – أيضاً – أمنيةً بأن يأتيَ ذلك الزمان الذي يسمح، وكأنّه يقول: هلّا سمحت يا زمان! اسمح أرجوك!

طال هذا التساؤل، وتعب عود عبد الوهاب من الشكوى، فما كان من آينشتاين إلّا أن انبرى ببعده الزمنيّ الرابع؛ ليُقدِّمَ إجابةً على سؤال عبد الوهاب (إيمتى)، ويقول: «غالي والطلب رخيص! الآن يا عبده، زماني يسمح الآن». ليس هذا فحسب، بل انّنا سنمطّ لحظة الآن بحسب ما تقتضيه اللحظة! خُذْ يا فنّان من عمّك آينشتاين لحظة زمنيّة ثمينة، تعال واصنع تفاصيل لحظتك على هواك.

يغتنم فنّاننا الفرصة، وينشد تفاصيل لحظته:

«الجو كلّه سكون والورد نام عالغصون
والقمر طالل علينا والعزول غاب عن عينينا
الدّنيا كلها حاسدانا والنسمة كانت حيرانه
والموج بيحكي حكايه للشطّ مالها نهايه
أنا والجميل قاعدين سوا على شطّ النيل»

أنا والجميل معاً: شكراً آينشتاين.

ليس من الغريبِ إذن أن نصفَ هذا النشيدَ بالنشيدِ الآينشتانيّ، إنَّه يفتح الباب على بعدٍ آخرَ حدث فيه هذا اللقاء الجميل بعد طول انتظارٍ، وينشر شعوراً بالبهجة، فيصفّق القلب فرحاً بلقاء هذين العاشقين.

يضع المشهدُ النيلَ أمام النواظر، وتصلُ به الواقعيّة إلى أن يُسمعك صوت الأمواج، وينشر عبق الورد، بل إنَّهُ يدنو بالقمر ليكونَ أقرب من أيّ لحظة سابقة.

هكذا.. هكذا بالضبط، تفيض نشوة حواسّنا بالجاذبيّة الهائلة في لحظة اللقاء الخاطفة تلك، فنتغلّب بتلك الجاذبيّة على كلّ عوائق زمننا الذي منع اللقاء؛ ليتشكّل اللقاء المنتظر في بعد وزمن آخرين، ألم نقل منذ البداية إنَّ الزمنَ نسبيّ، ويتوقّف على شدة الجاذبيّة وسرعتها؟!

أمّا بعدُ...

وبعد هذه الرحلة إلى النسبيّة الزمنيّة، أنّى للسؤال الوجوديّ أن يبقى على حاله؟ من الإجحاف أن نترك الزمان مطلقاً في سؤال: (إيمتى الزمان يسمح يا جميل؟). وَجَبَ علينا أن نُحدِّدَ الزمان، فهناك زمان آينشتاين الذي سمح بالفعل، وهناك الزمان «ده» الذي لم يسمح حتى الآن!

لهذا.. لهذا كلّه، أغيّر كلمة الزمان حين أغنّيها لك، وأسألك: (إيمتى الزمن ده يسمح يا جميل؟)، الزمن (ده) تحديداً... يا جميل!

نحيب

سماح موسى

أحكمتُ إغلاق الباب جيّداً، ضجيجٌ مزعجٌ يرتدُّ من صوتِ قلبي، تنهّدتُ بعمق، امتدَّ بصري يلاحق الأوراق مبعثرةً على مكتبي، بينما تغرورق عيناياَ بالدُّموع، تناولتُ الهاتف بيد مرتجفة، أُجري مكالمة هاتفيّة،

ارتدَّ صوت المحامي عبر سمّاعة الهاتف بنبرةِ تيهٍ ممتزجةٍ بخيطِ أملٍ خفيّ، أنهيتُ المكالمة بكلمة شكر.

بينما أراقبُ تبعثر الأوراق الذي يشدّني باهتمام واضطراب، ربما شبّهته بشيء في نفسي، جلستُ على مكتبي أرتّب الأوراق وأعدُّ الخطط، أمتزجُ والحبر سويّاً، فيكتبني؛ لأنجو منه.

حفلة.. نعم يُمكنني حلُّ كلّ شيء بحفلة.

نطقتُ جملتي بحماس، بينما أستعدّ لرحلة هروب مباغتة، تُساعدني على الخوض في كلّ هذا الوابل من جديد. طلبتُ من مدير أعمالي تجهيز بطاقات الدعوة، ترجّلتُ سيارتي أتأمّلُ قصري المزيّن بغروب الشمس، وابتلال عشبه بزخّات مطر لامعة.

إنّني امرأةٌ ناجحةٌ، ثريّةٌ، ولديَّ من المعارف ما يكفي لإقامة حفلة كبيرة في هذا القصر، ستضيف لي ما ينقصني، وما يُبعثر حالتي من هواجس الوحدة وضغوطات الكتمان.

وها هو المشهد يتراءى أمامي، بينما أبيتُ في منتصفه، احتفال حاشد، أناسٌ كثر، طاولات مزيّنة بالشراب والشمع، ولا أنكر شعوري المنتشي بالسّعادة، بينما أتلقّى لطفهم وهداياهم.

وفي وسط الضّحك والمرح، حضر مدير أعمالي بعجالة يحذّرني من خطر الإفلاس، تراكم أمامي وابلٌ من انعكاس

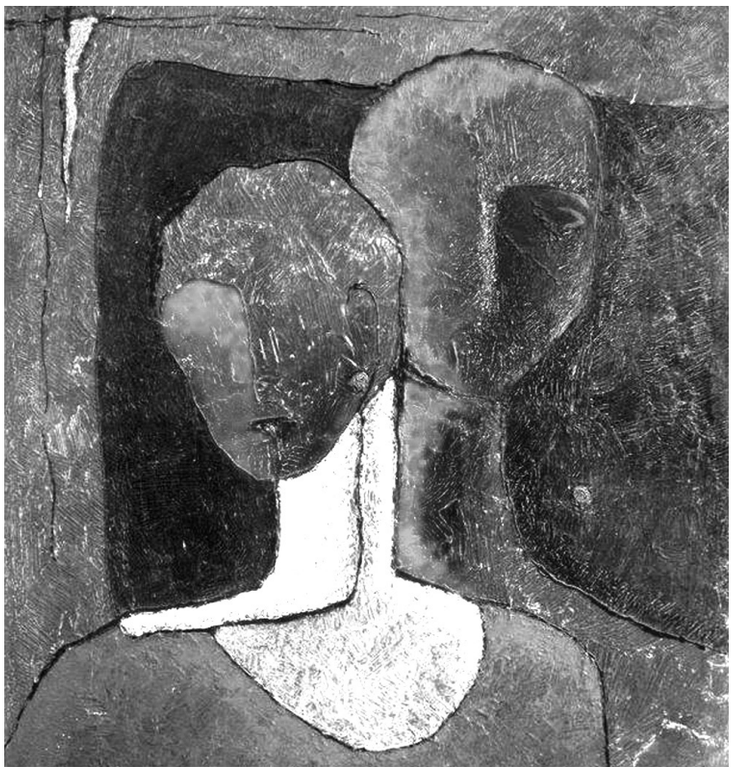

لوحة الفنان بسمة النمري/ الأردن

المشاعر، نظرتُ إلى الحفلِ بملامحِ الجديّة الهرمة، انتهزتُ اللحظة؛ لأبدوَ ممثّلةً قديرةً، تحتسي الشراب وتبتسم، وسط انصياع لقدر صعب، ودموع على وشك أن تنفجر.

هذا العالَمُ السعيد، وهذه الأشجارُ المضيئةُ في مساء مرّ، المجاملات الضاحكة، الأحاديث التي لا تنتهي باتت كالضباب، صخب عالٍ لا يعلو على صخب روحي، ماذا سيحدث لهذا الحشد المهتمّ بينما يعرفون الحقيقة؟ ماذا سيحصلُ حينما تتغيّر ملابسي، ومنزلي، وسيارتي؟ هل سنبقى نحتفل؟ أم يُعزّينا الاحتفال؟

أستمرُّ في تمثيل المرح، مدير أعمالي يراقبني بملفّه من بعيد، أتجاهل، أهرب، ثم أنقاد كالغريقة، وأحتفي بالحقيقة وسط احتفال من الوهم. وفجأةً تخفتُ الأصواتُ، يهدأُ الحفل، أزيحُ غيمتي الضبابيّة، وأتبدّل مع الموقف، أسيرُ ببطء، تهزّني صفعة من الصدمة، بينما أراقبُ لوحةً تتدلّى من السقف، تُعلنُ خبر إفلاسي.

انتظرتُ بصيصاً من الأمل؛ كي أرى الحضور ينتحبون كما يفرحون، لكنَّ قراراتي كشفت عمّا في نفسها، وانهمرت دموعي، ترقبُ انشقاق الأرض تبتلعهم، إنّهم يغادرون من دون حتى كلمة مواساة واحدة، بقيتُ وحدي، أصارع تبدّل القدر وصنع المصير، أتنهّدُ بحقيقة مرّة غيّبتُها عن نفسي، أو كذبة صنعتها؛ لمداراة خدشٍ في عمق روحي.

صرختُ بوجعٍ، حطّمت الأشياء، اهتزّت الأرضُ وتأرجحَتْ بي دوّامةٌ توشك على ابتلاعي، لولا رنينُ الجرس الذي أيقظني بشهقة ذعر، تفحّصتُ غرفتي جيّداً، المرآة كانت شاهداً على ملامحي المشتّتة، سرّحتُ شعري بعجالة، بينما ألمحُ بطاقاتِ الدعوةِ مركونةً أمامي على المنضدة، رحتُ أمزّقها بينما ترتجُّ الغرفة بالنّحيب.

في البَدْءِ كانَتِ الكلمة

وائل مكاحلة

ربما كانَتْ مهنةُ «الراوي» من أقدم المهن وأكثرها جذباً لمستهلكيها عبر التاريخ، هذا الرجل ترحّل وقرأ، وتعرّفَ وتبحّرَ في ثقافات عديدة؛ كي يأتيَ ويجلسَ، فيجتمع حوله الناس ليبدأَ حديثاً مُتبَّلاً بخبراته وأسلوبه في التشويق وجذب المستمع، الجلسة هنا لا تخلو من سخرية محبّبة وعبرة يتّعظ بها الناس.

يقال إنَّ مهنة الراوي بدأت من أسواق بغداد، ثم انتشرت حتى وصل صيتها إلى أوروبا، لدرجة أنَّ الروائيّ الإنجليزيّ الكبير سومرست موم (1874 – 1965) قال بصريح العبارة: «أتمنّى أن يعودَ بي الزمن للخلف، وأصبح راوياً في سوق بغداد، فإن أعجبَتْ قصصي الناس تعشّيتُ... وإلّا متُّ جوعاً».

في مجاهل إفريقيا أيضاً نجد رجال القبيلة مُقسَّمين على أربع مهن رئيسيّة: الراعي، والخزّاف، والمزارع، والصيّاد. والذي لا يُجيد شيئاً ممّا تقدّم، إمّا أن يصبحَ ساحرَ القبيلة، أو راويَها، أو يموت منبوذاً!

الراوي عندهم له خصوصيّة تصل إلى حدّ التقديس، يسمّونه «الميزي»، ولا أعرف معنى الكلمة حرفيّاً، الميزي والساحر هما أغنى رجال القرية، الصيّاد يتذكّرهما بجزء غير يسير من الصيد، والخزّاف يُتحف بمصنوعاته بيتيهما، والراعي يرعى ما لهما من حيوانات مجاناً.

يجتمع الناس حول الميزي ليلاً، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، من الزعيم حتى أصغر طفل؛ ليستمعوا لحكاياته التي تصطبغ بصبغة الأساطير في العادة، ولا تنسوا أنَّ لكلِّ مكانٍ خصوصيته، ففي الوقت الذي تزجي قصص (ألف ليلة وليلة)، و(الشاطر حسن) ساعات الملل لدى أطفالنا، تكون حكايات الأسد الملك، والنمور، والأفاعي، هي مدار الحديث لدى الميزي وجمهوره. هكذا تتعدّد الثقافات، فلا نستطيع أن نفرض مقياساً واحداً للجميع، نقيّم على أساسه تقدّم الأمم وتأخّرها.

الراوي تطوّر مع الأيام، فبدأ يأخذ أشكالاً أخرى، مع الحفاظ على مهمّته الأزليّة، وهي تسلية الناس، فبدأَتْ تظهر أشكال أخرى تعبّر عن ثقافة المرحلة، جاء لاعب الماريونيت، ومسرح العرائس، ثم المشخّصاتي أو المُمثّل. هؤلاء كانوا – كأيّ شيء مرتجل – يقفون في الشوارع والميادين؛ ليمارسوا هواياتهم ويجنوا قوت يومهم من المارّة الذين تستوقفهم دقائق من التسلية، يمكنها أن تُهوّن متاعبهم، ربما لأنَّ نداء الفنون في أعماقهم لا يختلف كثيراً عن نداء الحاجة للمأكل والمشرب، هي حاجة بيولوجيّة أخرى لو أردتم رأيي.

اهتمّت الحكومات العربية حديثاً في أماكن شتّى بالفنون، وعرفوا في وقت مبكّر أنَّ المسرح الكوميديّ بالذات هو متنفّس للناس حين تضيق بهم سبل التعبير، وحتى عربنا الأولون قالوا: «بالمزاح تشفى الأرواح». لذا كان الرواة يُضفون على حكاياتهم بعض الكوميديا الساخرة التي تتكلّم عن أوضاع الناس، وتصف آلامهم، وتناقش سياسات الدول.

ولاة الأمر هنا انقسموا بين مغيّبٍ سجنَ كلَّ هؤلاء، ومنع الناس من التّفريج عن بعض ضيقهم، وبين ذكيّ عرف كيف يُرخي الحبل للراوي والمشخصاتي ولاعب مسرح العرائس؛ كي يخفّفَ غضب الشعوب، ويهوّنَ عليهم ما يعايشونه من ظلم واضطهاد، فيحافظ كلّ منهم - بالتالي - على شعرة «معاوية» بينه وبين شعبه.

في مصر مثلاً، وأيام الملك «فؤاد الأول»، يظهر مسرح «كشكش بيك»، تلك الكوميديا المرتجلة التي ناقشت الحياة ومتاعبها في ظلّ ضيق الأرزاق والضرائب الباهظة، والبوليس السياسيّ الذي يملأ الطرقات، فيحارب الملك - في ذلك الوقت – المسرح، ويُشرِّدُ روّاده.

الشاعر الكبير «بيرم التونسي» أيضاً ظهر في تلك الفترة؛ ليُلقيَ مزاحه الشعريّ الثقيل على أسماع بطانة الملك، فكاد الملك أن يقتله لولا وسطاء الخير الذين خفّفوا العقوبة إلى النفي خارج الوطن وقتها. وفي عهد الملك «فاروق» الشابّ الذي كان يتّقد ذكاء وحيوية، عاد مسرح «كشكش بيك» إلى الحياة، وعاد «بيرم التونسي» بعد غياب دام عشرين عاماً في باريس؛ ليموت في بلده.

أيضا الريحاني كانت له تجارب مسرحيّة أهّلته ليحمل لواء «تشارلي شابلن» في الشرق؛ ليُعبّر عن البؤس والظلم والتهميش، ورث منه الفنان الكبير "عبد المنعم مدبولي"، ثم تبعه "فؤاد المهندس"، كلّ هؤلاء كانوا لسان حال الشعب، يتألّمون بآلامه، ويغتسلون بهمومه على شاشات السينما والمسرح، ذهبوا جميعاً ليأتي بعدهم «عادل إمام»، الذي حاول محاكاتهم بطريقته المضحكة، لكن كان من الصعب على مليونير برجوازي أن يُجسّد أدوار البروليتاريا المطحونة مهما حاول.

في سوريا أيضاً ظهر مسرح «دريد لحام» الملحميّ، ثم تلاه مسرح «عبد الحسين عبد الرضا» في الكويت، والتي تبنّت جزءاً غير يسير من الإنتاج التلفزيونيّ والمسرحيّ الذي انتشر حتى تخطّى حدود الكويت إلى البلاد المجاورة.

في بلادنا كانت الأعمال الفنّيّة في ذروة عطائها في الثمانينيّات والتسعينيّات، كوميديا الشارع وحياة البادية، والدراما الأردنيّة كانت مطلوبةً في كلّ مكان في العالم العربيّ، الرسائل التي أوصلتها هذه الأعمال البسيطة كانت أقوى ألف مرة من رسائل تُطلقها أعمال أخرى أكثر مباشرة، لذا كانت مسلسلاتٌ خفيفةٌ كـ(حارة أبو عواد)، و(العلم نور) مطلوبةً عربيّاً، بالرغم من اختلاف الثقافات.

أذكرُ حين كنتُ أعيشُ في ليبيا، أنَّ مسلسل (أبو عواد) مثلاً حظي بشعبيّة أكبر بكثير من تلك التي حظي بها في وطنه، هناك مسلسل يسمّى (عليوة والأيام) قامت التلفزة الليبيّة بشراء حقوق بثّه؛ لتُعيده عشرات المرات، أذكر أنّني كنتُ أكمل الحلقة الأخيرة منه فقط؛ ليبدأ عرضه من جديد بعدها بأسبوع، ترافق هذا مع خلو الشوارع في ساعة عرضه؛ لشدة تفاعل الجمهور معه!

السؤال هنا: أين الدراما الأردنيّة الآن؟! ولماذا تمتلئ قنواتنا المحلّيّة الخاصة والعامة بمسلسلات مستوردة سطحيّة تخدش الحياء الأسريّ، وتصنع فينا ما لم يصنعه احتلال أو غزو؟! أين الإنتاج المحلّيّ سواء من الدولة أو المؤسسات الخاصة؟

على قدر علمي أنَّ فنّانينا المتميّزين تلتقطهم تلفزيونات دول الجوار من قلة العمل، والكتّاب المحظوظون يحذون حذوهم، وغير المحظوظين يَذْوون سريعاً وينسون الموضوع بعد الرواية الثانية؛ لتتلقّفهم المكاتب العموميّة، فيقضون حيواتهم خلفها ينعون مواهبهم المسفوحة إهمالاً، لماذا لا ترعى الدولة هذه المواهب المربحة جداً، خصوصاً أنَّ الأعمال الفنّيّة الأردنيّة ما تزال مطلوبةً في الخارج بشدة؟

ربما هي أسئلة صعبة.. فهل سنجد يوماً من يجيب عليها؟

عَيْنُ حمد

مرام رحمون

القريـةُ نائمـةٌ، فالفجـر عـادةً لا يتنقّـلُ فيـه إلّا الذاهبـون إلـى المسـجد، والمزارعـون الغـادون علـى حرثهـم، وعمّـال البيّـارات الذيـن لا يوقظهـم صيـاح الديـك، بـل يسـتيقظون قبلـه. لكنَّ الجميـع كانوا يسـمعون أنينـاً بعيـداً مـن خلـف التلّـة المُطلّـة علـى (الحرّاويـة).

الأطفـالُ الذيـن يلعبـون بـين بيّـارات الليمـون والبرتقـال، ويجمعـون بعـض حبّاتـه، يتراكضـون ويغمـرون المـكان بضحكاتهـم، يتحاشَـوْنَ اللعـبَ قبيـل الغـروب علـى أطـراف التجمّـع المنسـدح علـى (تـلّ الأربعـين).

«حَمَـد اليعقوبـي أبـو عـين بيضـا» كمـا يُسـمّيه أهـل البلـدة، وحـده مـن كان يمّـر هنـاك مسـاءً بسـيارته القديمـة، شـاقّاً بصـوت محرّكهـا المتهالـك السـماء، وكأنّـه صـوت هـزيم رعـد بعيـد دون وجـل.

«زيّونـه دايـةُ القريـة» المـرأة المزيونـة السـمراء، ذات الوشـم علـى الذقـن أو (السـيالة) كمـا يسـمّونها، الطويلـة البظّـة، ولّـدت أغلـبَ نسـاء الحرّاويـة قبـلَ أن تبنـيَ الدولـةُ مشـفىً حديثـاً يضـمّ قسـماً للولادة في الأغـوار الشـمالية.

تجلس عند الفجر، تنظر للأفق الدافئ، تُتمتم بصوت غير مسموع، تَرقي القرية بأكملها، تقرأ المعوّذتين، وتنفث على الجهات الأربع، وكأنّها ترقيها كرامةً لعين ولدها الوحيد الناجي من بين عشرة أطفال لها، أوّلهم خطفته الحمّى، وآخرهم راح ضحية عَيْن (حمد اليعقوبي)، عندما قال لها: «ما شفت ولد ذكي مثله». فراح دهساً تحت عجلاتِ سيّارةٍ وهو عائدٌ من مدرسته.

كانت تقرأ على حبّات الملح الصخريّ، وتلفّها بقطعة قماش زرقاء، وتجعلها في جيب قميص ولدها الوحيد الذي تبقّى لها، وتقول: «أعوذ بالله من عين شافتك وما صلّت عالنبي». ومنذ سكن ابنها عمّان بُعيدَ تخرّجه من الجامعة وهي تسكن وحيدة.

تؤمن بقصص العين، وتوصي الناس بوضع مرآة مقابل باب البيت، فيرتدّ نظر الداخل إليه، وتنعكس صورته للخارج، فتخفّ حِدّة (العين الحامية)، كما تصفها لَنْ تقرأ عليه وترقيه، وتوصيه بالاغتسال بماء (حمّة أبو ذابلة).

كثيراً ما كانت تقول لنساء القرية: «يا ويلها اللي تروح دار ميت وتشوفه وهي حامل... ترى مو ناقصنا عين صيّابه، بتكفينا عين اليعقوبي».

الحرّاوية بأكملها تستعيذ من عين (حَمَد)، ذلك الأسمر الطويل كأول عمود كهرباء نصبته الحكومة، لكنّ كرشه كان ينفتقُ عن زر قميصه الأوسط، الذي يشبعه بعطر رخيص يشتريه كلّما ذهب للمدينة، ويُغرق ملابسه برذاذ كثيف به يخبر الجميع عنه قبل بلوغه المجلس. وما أن يصل ويجلس بينهم في المساءات الصيفيّة، ذات الجلسات العربيّة من (الجَنْبِيّات) المحشوّة بالقماش المندوف في إحدى الطاحونات، والمساند الإسفنجية، حتى يُخرجوا علب الكبريت واحداً تلو الآخر؛ بحُجّة إشعال سيجارة، ويكسرون العود بعدها، ويُتمتمون: «بعينك عود.. يالبعيد».

مجالس القرية تعلو فيها الأصوات، وتدور فيها صواني الشاي المُحلّى الدَّبق، الذي تنسكب معه حكاياتهم، والعجوز ذو الوجه الخشبيّ يروي قصته مع (الذيب)، والآخر يحكي عن السالوس الذي يخطف كلّ يومٍ دجاجةً، حتى بدأ عائدُ البيض لا يكفيه كما كان.

أمّا (حَمَد أبو بطن)، فلا يكفيه الشاي كعادته، فيقول: «شو ما في عشا اليوم؟».

– لا والله! يُجيبه أحدهم.

– أي وحدة من المعزات بتحبّو تاكلوا؟

تكفهرّ وجوههم.. وبنظرةٍ واحدةٍ من عينه تخرّ إحدى المعزات، فيُهْرَعُ أحدهم لنحرها قبل أن تلفظ آخر أنفاسها!

يتكرّر هذا المشهد كلّما أراد (حمد أبو بطن) أو اشتهى لحمَ جدي، حتى بات السكّان يلُمّون قطيع أغنامهم وجديانهم قبل أن يسبق صوتُ محرّك سيارته وصولَه.

تقول زيونه: كانت أمّ حمد حاملاً به حين مات أبوه، أخبروها أنّه تلقّى رصاصات خرطوش في صدره من أحد الصيّادين بالخطأ، وعندما أحضروه مغسولاً بدمه صاحت فوقه وشقّت ثوبها، وتمرّغَتْ بالتراب. سحبتها النسوة للخارج، لكنَّها انتفضت ودخلت عُنوةً، فرأته مُمدَّداً على لوح الغسل.

تعوّذ منها شيخ الجامع، وصاح: «أخرجوها»، فالجميع يعرف ماذا يعني أن ترى الحاملُ مَيّتاً عارياً أثناء غسله! وما أن ولدته وفطمته حتى شرع السكان بطلاء بيوتهم باللون الأزرق، وثبّتوا على الجدران مُجسَّمات أكفّ تتوسّطها أعين زرقاء.

نشأ حَمَد كأيّ يتيم في القرية يعطفون عليه، لكنّهم يخشونه في آنٍ واحدٍ، كان يبول على التراب، ويُلاحق القطط ويربط ذيلها بحبل رفيع، يدوس على السحالي حتى يسحقها، ويغتسل بماء قنوات ماء الرّيّ عارياً.

لم يلاحظوا عليه شيئاً غريباً حتى أحبَّ فتاةً من جيله، وكعادة أهل القرى يزوّجون القاصر بعد البلوغ بقليل. ذهب حمد مكسور القلب، ونظر لفتاة أحلامه بثوبها الأبيض نظرةً حادّةً بقلبٍ مغلولٍ بالحسرة، وما هي إلّا دقائق حتى سقطَتْ مغشيّاً عليها.

تعكر صفو الحرّاوية بعدها على العروس المريضة، زيونه أشارَتْ عليهم أن يأخذوها يوم جمعة قبل صلاة الظهر للبحر الميت، ويُغطّسوها سبع مرات، فتُفَكّ العين الحادة التي

أصابتها. وصنعت لها حجاباً غمسته بملح صخريّ، وحمّلتها إياه بخيط ملاحف مجدول تحت إبطها، فهي وحدها تعلم جيداً قدرة عين حمد، وتقولها للجميع: «عينو تفلق الصخر».

اتفق أهل البلدة الغوريّة الفقيرة أن «يتكافوا» شرّه، ويرسلوا له خبزه وطعامه بعد وفاة أمّه، وساعدوه في بناء منزلٍ له بعيدٍ عنهم، على أطراف القرية، لكن لا أحدَ منهم زوَّجه ابنته.

عمل حَمَد في العديد من البيّارات، لكنَّ عينه (الصيّابة) من غير قصد، كانت تتسبّب بكثيرٍ من المصائب، باع نصيبه من قطعة أرض ورثها عن أمّه، واشترى بثمنها سيارة نقل (بيك أب) قديمة، وترزَّقَ من نقل نتاج الفلاحين إلى المدينة.

حمّة (أبو ذابلة) كانت المكان المقدّس القريب الذي يغتسل فيه السكّان كلّما أحسّوا بالتعب، ويأخذون أطفالهم الذين تأخّروا في المشي، يُحمّمونهم بمائها الحارّ، ويسقون ماءها لمَنْ تأخّر في الكلام.

في يوم شتويّ دافئ حضرت سيارة حَمَد وخلفها سيّارات لم تألفها المنطقة من قبل.. نزل الغرباء منها وأخرجوا أوراقاً، وتحدّثوا بلغةٍ غيرِ معهودةٍ للموجودين. تطيّر أهل المنطقة من الغرباء، فالأسلاف يؤمنون أنَّ عين الماء الساخنة تفجّرت ببركة الصالح (أبو ذابلة)، ونبوءته تُخبر أنَّ جفاف مياهها يعني لعنةً على مَنْ يدلّ الغرباء عليها.

عمل حَمَد سائقاً خاصّاً للعديد من الغرباء، واختفت الكلاب ثم القطط من القرية أثناء تواجدهم، الغرباءُ متوسِّطو القامةِ، متشابهو الوجوه والملامح، أصحاب العيون الصغيرة، كانت بالكاد تظهر حدقة عيونهم لشدة صغرها!

لم يَرُقْ عمل حمد لأهل القرية، وكانوا يدعون عليه بالهلاك كلّما اجتمعوا، وعندما كان مشروع قناة الغور الشرقيّة، اصطدمَتْ إحدى الجرّافات بصخرةٍ كبيرةٍ، حاول العمّال تكسيرها بالمهدّات فلم يفلحوا، وكذلك سائقو الجرافات بإزاحتها ونقلها، لكنَّ حجمها لم تقدر عليه واحدة منها، فاقترح مهندس أن يأتوا بكسّارة (همر) ويُحطّموها. فأشار عليهم أحد المتواجدين في المكان، وكان من أهل الحرّاوية، أن يستعينوا بعين اليعقوبي، فسخر منه الجميع وضحكوا من كلامه.

انزعج الرجل من طريقة تهكُّمهم عليه، فذهب لحمد، وقال له: «تعال افلق الصخرة بعينك وإلك عشر ليرات حلال زلال». ضحك حمد وقال له: «والله العشرة الزرقا بتسوى أبو أبوهم».

حضر حمد والرجل في اليوم التالي، وكان العمّال يتصبّبون عرقاً، فالجوُّ حارٌّ، والمهندسون يتشاورون لتغيير مسار القناة لتفادي الصخرة أو استقدام آليّات جديدة. وقف حمد مقابل الصخرة، طأطأ رأسه ثم رفعه، أمال به لليمين ثم للشمال، شدَّ ظهره للخلف وكأنَّه يأخذ إحداثيّات الصخرة ويمايزها، ثم وضع يديه في جيبه، أغمض قليلاً، ثم فتح عينه اليمنى، ورفع حاجبها، وأغمض اليسرى، ونظر للصخرة، وأخذ نَفَساً عميقاً، ثم كتمه، وركّز كلَّ قواه كأنّه مستعدٌّ للهجوم في ساحة قتال.

لحظاتٌ مرَّتْ حتى التفتَ الجميعُ إلى صوتٍ صدرَ من الصخرة، شُدِهَتِ العيونُ، وفغرت الأفواه، وتشقّقت الصخرة إلى خمس قطع، وانهارت وسط دهشة كلّ الحاضرين. التفت اليعقوبي لصديقه وقال: «هات العشرة الزرقا». وترك الجميع في حيرةٍ ممّا رأوا، ومضى.

وفي يومٍ ماطرٍ عاصفٍ، خرج أحد العمّال صائحاً في القرية: «سيارة حمد غرقت في القناة يا رجال.. سيارة حمد زحلقت بالطين والمطر ووقعت بالقناة». أحضر الرجالُ حبالاً كثيرةً، وجاءت جرّافة أبو علي متعهّد المتصرفيّة، وأخرجوا سيارة حمد بشقّ الأنفس، لكنَّ حَمَد لم يكن فيها.

لم يعلم أحدٌ السبب! ولا كيف حصل الحادث! انتشر الخبر.. تجمّع الأهالي، وكثرت الأقاويل، وأتى رجال الدفاع المدني بعد ساعات، ومكث رجاله يبحثون عدّةَ أيامٍ عن جثّة حمد أو عمّا يُثبت أنّه حيّ يرزق.

أحدهم قال إنَّه رآه في البيّارات ليلاً، وآخر حلف إنَّه رآه يمشي عند تل الأربعين.. وربما أصابته لعنة (الساكونة) التي لم يخشَها يوماً كباقي سكان القرية، بل كان يسخر من وجودها أيضاً.

ومن يومها تأرَّخَتِ القريةُ بذكراه، فصبيانها يقال لهم: «هذا وُلِدَ قبل غرق حمد اليعقوبي، وهذا أجى بعد موتة حمد اليعقوبي». وما زال حمد هاجسَ الحرّاوية إلى الآن.

غالية

تغريد أبو شاور

وأكثرُ ما لا يمكن لامرأة التغاضي عنه، أن ترى الشمس ولا تراها، وتأكل الأشعة من عينيها ولا تحسّ بها، وأن تظلّ تدور حول مكان تبحث عنه ولا تجده. هذا ما كان يحدث لي خاصةً في أيام الجُمع، لذا قرّرتُ ألّا أسمح لنفسي أن تكرهني أكثر، وألّا يتطوّر مرضي الذي بات اعترافي به وشيكاً أمام عائلتي، فاتّخذتُ قراراً لئيماً، ألّا أخرج في أيّ يوم جمعة، وألّا أتخلّى عن نظّارتي ذات العدسة السوداء، ولا عن جهاز تحديد الموقع في سيارتي، وأن أتفرّغ يوم الجمعة فقط لمعالجة القضايا العالقة بيني وبين النمل في شرفتي.

كان هذا حالي بعد عشر سنوات على خروجي من (المَبَرّة)، عندما انتهت صلاحيّتي فيها، من هناك خرجتُ كسمكةٍ فاسدةٍ يملأني السرطان وينهش جسدي، وتتنامى في عقلي الكثير من الأسئلة.

كنتُ في هذا العمر قد تجاوزتُ الأسئلةَ التي ولّدها وضعي معي: من أنا؟ من أين أتيتُ؟ وكيف لأمٍّ أن تتركَ قلبها على عتبة جامع؟ قلب؟ لم أدرك معنى كلمة قلب في المبرّة، ما أدركتُهُ أنّني كنتُ شيئاً من فضلات امرأة تخلّصَتْ منه وغادرت مرتاحة.

وبعد أن خرجت، منحتني الدنيا شيئًا من محبّتها، صار لساني ملوّنًا بأربع لغات، فاشتغلتُ في مركز عالميّ كبير للتنمية البشريّة، وتدرّجَتْ خطايَ إلى خارج حدود البلد، أرافق الوفود الرسميّة، تعلو وتهبط بي الطائرة، وأنا أتمحور وأدور حول نفسي، أحاول أن أخلق لي نسبًا في هذا العالم مجهول النسب.

بحثتُ عن جذرٍ لي في كلّ بلدٍ كنتُ أزوره، كلّما هبطتُ في بلدٍ نزلتُ إلى سوقها الشعبيّ، وبدأت أبحثُ في الوجوه عن وجه يشبهني، عن بحّة تتناغم مع بحّة صوتي، وكانت المفاجأة الكبيرة عندما عثرتُ على رجل من جنوب بلاده، جلس إلى جانبي في الطائرة، أعطاني الكثير من الوقت لأتأمّل وجهه دون ضجر منه، أن أرسمَ له ملامحَ أريدها على وجهه، أن أضعَ له بعضَ شاماتي فوق ذقنه، وأضيفَ له بضعة سنتيمترات من طولي، وأُذوِّب لونًا برتقاليًّا في عينيه الخضراوين؛ لتصير بنيّة مثل عيني.

منحني وقتًا طويلًا دون أن يُشعرني بالخجل ممّا أفعله به، وعندما انتهيتُ، أثبتُّ أنّه جذري الذي كنتُ أبحثُ عنه في الأرض، ووجدته أخيرًا هائمًا مثلي في السماء، ابتسم لي، وقدَّم لي كأسًا من الماء.

الحياة في المبرّة تفرضُ عليكَ أن تكون حذرًا من نفسك كحذرك من الآخرين، لكنّي خالفتُ التعاليم التي انقضى عليها عشر سنوات، وقبلتُ كأس الماء، وكأساً آخرَ من عصير البرتقال، وفوقه قطعة من الكيك، وابتسم لي ثانيةً. في المبرّة تعلّمنا أنَّ الابتسام طريقة من طرق الاحتيال، لذا بكلّ بساطة تنازلتُ عن هذا، وابتسمتُ له أكثر من مرة.

سألني أسئلة خاصة، هي الأسئلة ذاتها التي طالما اعتدنا أن نجيب عليها أثناء إقامتنا في المبرّة وخارجها باقتضاب، أمّا اليوم، وعلى بعد أربعين كيلومتراً من الأرض، دلقتُ بين يديه تاريخي المائيّ، فأنا لا جذرَ يربطني كما يقولون.

طلب رقم هاتفي، فأمليتُ عليه نصائح الأمهات والخالات في المبّرات، وسخرتُ منهن، وأعطيته أرقامي، الخاص منها والعام. أيّ شعور يهبك إياه التأرجح والتعلّق في الهواء؟ أيّ فرصة للتحرّر من كلّ جراثيم الحياة يمنحك إياه اللاتوازن؟ هنا.. قبل أن يسألني، أخرجتُ له آخر تقارير الأطبّاء، وأطلعته بكلّ فُكاهة عن الشقة الكبيرة التي يسكنها السرطان في جسدي دون أن يدفع الإيجار، وأنا التي طيلة عشر سنوات، احتفظتُ بمرضي لي ولم أخبر به أحداً؛ حتى أتمكّنَ من أن أكون أنا، تلك التي بحثتُ عنها.

ضحك لي: ما اسمكِ؟

أجبته: غالية.

قال: جميل.

قلتُ: ما الجميل فيه؟

قال: المعنى؟

قالت: الأسماء لعنة! ما هي إلّا مدعاةٌ لسخرية الآخرين منك، فأين يكمن الغلا في لقيطة وُجدت عند باب جامع؟!

سكتَ وسكتُّ، قال: أيّ الأيام تحبّين؟

أجبته: الأحد.

ودون أن يسألني تابعتُ: وأكره يوم الجمعة! ودون أن يسأل أيضاً تابعتُ: في الجمعة والجمعة غدًا، ستضحك النساء على أنفسهن عندما يدركنَ أنَّ الوقت لا يُقتطع، وأنَّ الكلمات وقت مُستقطع بين موتين، غداً سيندمن على فساتينهنَّ الزرقاء في ليالي الشتاء، غداً وغداً ليس بقريب كما أوهموهنَّ، سيتعجّلن في صبغ شعورهن بالأبيض، ويتّهمنَ الحمام بسوء الطالع، ويضعن كحلاً لدرء الحسد من عيون البوم.

غداً ستقول أكثرُ النساء حماقةً: تبّاً، لماذا لا تنبت الغيوم في شرفتي رغم كلّ ما أبذره من سكّر في الأصص على الشرفة؟ غداً ستقول النساء كلمتهنَّ الأخيرة في دفتر امرأة جعلت منهنَّ حبراً.

النساء البليدات يوم الجمعة سيُخبرن جاراتهنَّ عن كؤوس تصدّعت، النساء الذكيّات سيخبرنَ جاراتهنَّ عن حالة الطقس، النساء المسافرات سيتوقّفنَ عند الفرق بين مقاسات الأحذية الأوروبيّة والصينيّة، النساء اللواتي يوافين يوم الجمعة آجالهنَّ أو ميلادهنَّ، هنّ حقّاً نساء سعيدات، فالجمعة بالنسبة لهنَّ يوم غد، أما الأحد، فهو خطيئتي الأولى التي لا أخجلُ منها، والتي أحبّها كلّما تكرّرت.

– هل تكرهين النساء؟ سألني.

– أنتَ منذُ اليوم عائلتي! أجبتُهُ بتطرّف.

ابتسم مجدّدًا، وانهمر عليَّ بحديث لم ينتهِ لساعات، متأرجحينِ في الفراغ، لا تشدّنا جاذبيّة ولا يُعيقنا غيمٌ، تنفّستُ لحظة انتهى من حديثه، وقلتُ: تبّاً لهذه الأرض المحشورة! كيف تخنقنا وتربط أرجلنا بألسنتنا، وتعلّق أعيننا بظلّنا، فلا نستطيع الكلام، ما السِّرُّ في السماء والارتياح اللامدروس لها؟

اهتزّت الطائرة ولم يُجبْ، احتفظ برقمي في محفظته، وبآخر تقرير طبّيّ لي، وتوجّه كلٌّ واحدٍ منّا نحو باب، تعلّقتُ بأمتعتي، واستقللتُ سيّارةَ أجرةٍ إلى بيتي، وكتبتُ له رسالةً على جوّاله، قلتُ له فيها: لم تكن رجلًا سعيدًا في حياتك، أنا أعرف الرجال السعداء، أُميّزهم عن غيرهم، هم ينزلون من سيّاراتهم بأعناقهم لا بأرجلهم، ويتناولون نوعاً واحداً من الدخان، يختارون من القمصان الضيّق منها ناحية الصدر، ذات الخطوط العريضة والألوان الحياديّة، ويُبالغون في أن تكون بناطيلهم منضبطة الطول عليهم.

هم يُصفِّرون في المصاعد، وينامون دون احتساء الحليب، وعلى خلاف دائم مع الوقت والكتاب، وقنوات الرياضة والدّين ونشرات الأبراج، خطوطهم مائلة ممتلئة نحو الداخل، ونحيلة عند الطرفين، هم لا يعترفون بالنظّارات الشمسيّة، رغم تمسّكهم بها على شعورهم الطويلة أو على صلعاتهم، هم سعداء لا يعطون وعودًا ولا يملكون وفاءً.

الأمهات

رقية المعايطة

على أنغام يعسوبٍ يبحثُ عن شريك العمر بعد أن قسم الليلُ قدره إلى نصفين، مضى أحدهما على عجل، بينما كان رحيق الصغيرة يضحك ...وبدأ النصف الثاني بنسمةٍ عليلةٍ مرّت على بستان كان يُسقى بماءٍ واحدٍ، ثم صار بعلاً.

المكان: الكرة الأرضيّة، بيني وبين وجع أمي جدار فاصل فقط، لا أنا أستطيع أن آخذ منه شيئًا ولا هي ستعطيني لو استطعتُ.

الزمان: تحاول مُجهدةً أن تكتبه امرأة في بيت مجاور، تدفع ثمن الأمومة صرخات متتاليات فيهن يأس الأمهات اللواتي عجزنَ في الصيف عن تحديد موعد النوم.

الشخوص: وحدي بطلةُ كلّ النصوص.

الحبكة: كيف للأمهات اللواتي عجزنَ عن الإمساك بالنوم لوجعٍ، أو تمرّدٍ، أو فقدٍ، أو حنينٍ، أن يستيقظنَ في الصباح، وينفضنَ غبار التعب عن أجسادهن؛ لتعيدَ إحداهن الكرّة وتُولدَ الأمومةُ من جديد.

النهاية: حتمًا قادمة بعد أن يمتلئ خزّان الجيران، ويتوقف ابنهم عن النداء: «يمّه.. يمّه خلص اطفي».

الغلاف: صورة تسعينيّة أمضت السنواتُ عليها إمضاءَ الشيخوخة، ثم وشمَتْها الظروف، فازداد وجهها جمالاً، وسألتُ نفسي وأنا أسمعها تشكو ألم الديسك، كيف كان جمال وجهها حين اختارها جدّي لتربّي أيتامه وتصير من الأمهات، بالرغم من أنّها لم تلد، لقد جسّدت قولهم: «الأمّ اللي بتربّي». ثم صارت بعد ذلك جدّةً للجميع.

الإهداء: إلى امرأة تُدرّس الصبر والعطاء لنساء الأرض، أنجبت طفلًا فكبر، فصار رجلًا، ثم بعد ذلك صار زوجي، ثم صرتُ له نصفًا بل ثلثين، وربما أكثر.

يبدو أنَّ الخزّان امتلأ، وأبناء الصيف وهبوا أمّهم نومًا بعد أن احترق لسانها بلهيب الصراخ، أمّا اليعسوب، فإمّا أنّه وجد شريك العمر، أو أنّه عقد العزم لإتمام عزوبيّته، وأنا ما زلتُ بطلةَ الرواية التي تنظر إلى الأمهات العظيمات من القاع، لقد تنصّلتُ من أمومتي الليلة، ولمدة ساعات، ووهبتُ دعائي للأمهات.

الفرصة الأخيرة

آسيا الطعامنة

ربّما هي الفرصة الأخيرة من منظور فتاة تقفُ على اعتاب الخامسة والثلاثين، لم تحظَ بالقدر الكافٍ من الجمال والتعليم الذي يؤهّلها للحصول على زوج مناسب، لذا فكلُّ شيءٍ يجب أن يكون على ما يرام هذا المساء، غرفة الاستقبال، الحمّامات مُعقّمة ونظيفة، الفطائر المحشوّة، المشروبات الغازية التي ملأت البرّاد ساعة علمت بالموعد، غير أنَّ حجز موعد في أحد صالونات التجميل، يبقى الخطوة الأهمّ على سلّم أولوياتها.

سماح الابنة الصغرى لعائلة كبيرة، قضى من قضى منها، وتزوّج الباقون، وظلّت وحدها مع ابنة شقيقتها التي تعهّدتها بالرعاية منذ كانت ابنة خمس سنوات بعد وفاة والديها بالحادث المشؤوم، أصبحت الآن شابةً جميلةً وعوناً لخالتها في وحدتها. بدا التوتّر واضحاً على خطوات الخالة، فهي ما أن تضع قدمها أول العتبة، حتى تعود لتلقيَ على مسامع ابنة الشقيقة الوصايا التي حفظتها عن ظهر قلب.

إنْ بقيتِ هكذا يا خالة، فسوف تفوِّتينَ على نفسك فرصة الاهتمام إن حدث وامتلأ الصالون بالزبائن، اذهبي أنتِ فقط، وأنا سأتدبّر كلّ شيء، سوف أقدِّمُ لهم الشراب بالطقم الفاخر الذي اشتريته بالأمس بسبعةَ عشرَ ديناراً، ولولا العرض الذي قدّمه صاحب المتجر، لكان أغلى من ذلك بكثير.

نعم.. نعم حفظتُ هذا، وسأعطي ابن جارنا الأهبل «عزوز» ربع دينار إذا ما جاء يطرق الباب كعادته كلّ يوم، لن أدعهم يرونه هنا مطلقاً لكوني مطمئنة، أنا واثقة من حسن تدبيرك، ولا تنسَيْ أن تؤكّدي على خالك أحمد ألّا يتأخّر عن الحضور، يجب أن يكون هنا في الموعد المناسب لاستقبال الضيوف، ليس من اللباقة أن يأتوا دون أن يكون في استقبالهم أحدٌ.

من نافذةٍ صغيرةٍ تُطلّ على شارع فرعيّ، يترجّل شابّ من مركبة صغيرة طويل القامة، ذو شعر غزير أسود مصفّف، يرتدي بنطالاً من الجينز الأزرق وقميصاً رماديّاً، يبدو في

منتصف الثلاثينيّات هو أيضاً، برفقته امرأةٌ نحيلةٌ، يلتصق ثوبها بجسدها كلّما هبّت الريح، فتبدو كفزّاعة طير.

يا إلهي تأخّرتُ كثيراً، تمتمت الفتاةُ وهي تسارع الخطى نحو الباب: أهلاً أهلاً.. تفضّلا. وأشارت بيدها نحو حجرة الاستقبال، سار الشابّ بخطوات رزينة، حيث أشارت له، بينما راحت المرأة تجول ببصرها في أنحاء مختلفة من الحجرة، هل ستتأخّر؟ لا أظنّ. ردّت الفتاة وهي تُناولها كوباً من الماء البارد: سوف أتصلُ بها في الحال.

راحت المرأةُ تقلّبُ كلَّ قطعةٍ من الأثاث بعين الخبيرة، وتتلمّس كلّ ما تستطيع أن تطاله يداها منه، في حين تناول الشابُّ منديلاً ورقيّاً أمامه، وراح يمرّره على جبينه المتعرّق، حاولت الفتاةُ أن تُشغلَهما بالحديث، وتُعدّدَ لهما مناقب الخالة الكثيرة، تحدّثت عن براعتها في صنع المأكولات والحلويات، وتختم كلامها بأنّها تغبط صاحب الحظّ الذي ستكون من نصيبه.

من الركن الآخر للمنزل، وبالتحديد غرفة الجلوس، سُمِعَ قرع الجرس، شاهدت الفتاةُ من خلال العدسة سماح وشقيقَها الذي قابلها صدفةً عند مدخل العمارة، سار الشقيقُ بخطواتٍ سريعةٍ باتجاه حجرة الاستقبال، بينما راحت سماح تطمئنُّ على تمام مظهرها من خلال المرآة تارةً، وما تقوله عينا ابنة الشقيقة تارةً أخرى، والتي راحت تدفعها باتجاه الباب مردّدة: كفّي عن هذا وهيّا ادخلي، لقد تأخّرتُ بما يكفي.

سارت سماح بخطواتٍ متعثّرةٍ وجلةٍ، وقفت هُنيهةً خلف الباب، عَلّها تسترق بعض الكلمات، ولكنَّ دقّات قلبها علت على كلّ صوت، وقبل أن تخطوَ خطوةً للداخل، بدأ الشابّ بالكلام، توقّفت، وقالت: أيّها العزيز أحمد، لا أدري إن كنتُ سأجانب الصواب في ما سأقول، أنتَ تعلمُ أنَّ الزواج قسمة ونصيب، وأنَّ ما سمعناه عنكم من حسن السيرة من أبناء الحيّ والأحياء المجاورة، ما سيجعلني في غاية السعادة لو تكرّمتم وقبلتم طلبي ليد ابنة شقيقتكم المصون، لقد غمرَتْنا بلطفها وذوقها واستقبالها الحسن.

أيّتها الخالة العزيزة! لا تُحرّكي ساكناً، ابقَيْ حيث أنتِ كما أنتِ، لقد دقّت طبول الحبّ في غيابك، وحُسِمَ الأمر.

قرويٌّ مسكونٌ بالدهشة

محمد عبد الكريم الزيود

قرويٌّ مسكونٌ بالدهشة

محمد عبد الكريم الزيود

كأنَّكَ تجلس على ظهر صخرة في منتصف جدول، يعبر من تحتك الماء، هكذا ينظر الكاتب لقلبه وهو يعبرُ رحلةَ العمر... من أين أبدأ والماءُ ما زال يجري، لكن تفتَّحَتْ عيوني كطفلٍ في حيّ (الغويرية) في الزرقاء، مدينةٌ فيها البيوتُ ملتصقةٌ بالحبّ، تفتح شبابيكها على بعضها بعضاً، طرقها مهترئة تفيض بالماء والطين شتاءً، وترتفع أعمدة الغبار كلّما مرّت مركبة في الصيف على عجل، أصص الريحان والنعناع تسكن أكتاف الشبابيك، فيها دفء الأمهات.

هناك كانت طفولتي الأولى، ولكنّني كنتُ دائماً المسكون بالدهشة كلّما زرتُ القرية، أذهب مع أبي إلى (المسرّة)، هناك كان عالمي الذي تجذبني فيه كلُّ الأشياء البكر، تخطفني الدهشة، والهدوء يعمّ المكان، فتسمع كلَّ شيءٍ دونما حاجز بينك وبينه.

أصوات الشنّير والعصافير، حفيف شجر البلوط، هدير محرّك سيارة اللاندروفر وهي تُطلّ من بعيد، ثغاء الغنم وهي صادرة من المرعى، الناس يتواصلون بالمناداة... الحصّادون في

موارس القرية – وكان أبي معهم – يستعينون على التعب وحرّ القيظ بالغناء، كيف كُنّا نسرق حبّات الفقوس والشمام من كرم الحوض ولم تنضج بعد؟!

كنتُ ذاك الطفل الذي يرقب هذا العالم بعينين صغيرتين، وذاكرة تسجّل كلّ التفاصيل... عالم القرية المدهش لطفل وُلِدَ في مدينةٍ لا تشبهه.

كم مررتُ في شوارع الغويرية، أمشي كلَّ صباح نحو (الحسبة)، وأعدّ المركبات حتى أصل إلى السوق، أشتري مجموعة من صحيفة (الدستور) من الوكالة في شارع الحمرا، تمنحني قرشاً مربحاً عن كلّ نسخة أبيعها، وأحياناً أذهب نحو حلويات (فهيم) بالقرب من سينما زهران، نشتري أنا والأولاد كيك (الكيكس) ونبيعه للمارّة، وكثيراً ما عدتُ بهنّ ولم أبع شيئاً، فالتجارة شطارة ولم أكن شاطراً.

في مدرسة (ابن القرطبي)، غشانا سيلٌ في أول الشتاء، لم أستطع أن أعبر الطريق نحو بوّابة المدرسة، فساعدنا أحدُ الطلاب الكبار، وانغرست فردةُ حذائي البلاستيكيّ في الطين، رجعتُ للبيت باكياً وأعرج بفردة واحدة، ليس حزناً من المطر، لكن خوفاً من سؤال أبي: لِمَ عدتُ باكراً؟!

في المدرسة كنتُ دائماً من المولعين بالقراءة، وأشارك دوماً في مسابقة أوائل المطالعين، وكنت دائماً أحصد الجوائز. مكتبةُ المدرسة، وقبلها مكتبة بلدية الزرقاء، أكثر ما شدّني إليهنّ في مراحل عمري الدراسيّة، شكّلَتْ القراءةُ عالماً جذّاباً تسافر معه وأنتَ في بيتك، تُبحر في عوالم جديدة، لم يكن هناك مصدرٌ للمعرفة سوى الكتاب، وربما أبي ذاك البدويّ العسكريّ الذي درس حتى الصف الثالث، ثم تعلّم وحده القراءة والكتابة، بأن كان ينسخ سور القرآن الكريم حتى أصبح يتندّر على خطوط كتابتنا أنا وإخوتي في ما بعد.

أبي كان يشتري جريدة (الرأي) كلّ يوم، وحافظ على هذه العادة حتى قبل سنوات قليلة، وقد تعلّمتُ منه قراءة الصحيفة، حيث يبدأ بالصفحة الأولى إلى أن يكملها، ثم يقلب الصفحة الأخيرة، ويقرأ المقالات الرئيسة عليها لكتّاب الأعمدة، أمثال: طارق مصاروة، وفهد الفانك، وخالد الكركي، وغيرهم.

ثم دأب على أن يشتريَ لنا نهاية كلّ شهر مجلة (العربي)، وشكّلت لنا هذه المجلة نافذة للعالم الخارجيّ لمعرفة الثقافات الجديدة، نقرأ مقالاتها من الكتّاب العرب، ونشاهد تحقيقاتها بصورها الملوّنة وورقها اللامع الذي يجذب القارئ.

بدأتُ أكتب القصة القصيرة مع البرنامج الإذاعيّ (أقلام واعدة)، وكان يقدّمه آنذاك الشاعر الراحل علي الفزاع، الذي كان يُعنى بالمواهب والمبدعين في القصة والشعر، وأعترفُ أنَّه أول من قرأ لي، وكان يحرص في كلّ حلقة أن يقرأ من محاولاتي الأولى، ويقول إنَّها ليست محاولات، وإنّما إبداع حقيقيّ، حتى إنَّه كتب مقالاً في ملحق (الرأي) عنونه بنفس عنوان برنامجه، وقال إنَّه يجب أن ننتبه للأصوات الجديدة، وذكرني وذكر أيضاً اسم الكاتب باسل رفايعة، والقاصة جواهر رفايعة.

ذهبتُ إلى جامعة مؤتة، حيث الجنوب الذي ينادي كلّ محبّ وعاشق لبلادنا، كانت فرصة لأقرأ كلّ ما كُتِبَ في القصة القصيرة في مكتبتها التي كنتُ أحدَ روّادها، فتعرّفتُ على فخري قعوار، ومؤنس الرزاز، وجمال ناجي، وهند أبو الشعر، وجميلة عمايرة، وسامية عطعوط، وسحر ملص، وبسمة النسور، وخليل السواحري، ومحمد طمليه، ووليم هلسة، ومحمود الريماوي، ويوسف الغزو، ويوسف ضمرة، وإنصاف قلعجي. وقرأتُ لعبد الرحمن منيف، وحنّا مينا، وجبرا إبراهيم جبرا، ويوسف إدريس، ونجيب محفوظ، والطيب صالح، وغيرهم.

ثم شاء القدر أن ذهبنا للعسكريّة، والعسكريّة في عُرف الأردنيين ليست وظيفة، وإنّما هي دربٌ من دروب الفروسيّة، وفيها أيضاً حدود كثيرة، وقسوة وانضباط وتعب، وظلّ بي ذاك الطفل الباحث عن الدهشة في عالم جديد، ولكنّ ظل وهج الكتابة يشدّني، يُطِلّ عليَّ مرّاتٍ ومرّات، فكتبتُ عندما يحين الإلهام من بين فولاذ الدبّابات وصوت الرصاص، وغبار المناورات في الميادين.

وعندما ظهرَتْ وسائل التواصل الاجتماعيّ، كانَتْ فرصة لي ولأمثالي البعيدين عن الضوء؛ لنكتبَ ونستعيدَ وهج

الكتابة، ونستقبل تفاعل القرّاء، فالكتابة تظلّ كالجمر، لا يبرد ولا ينطفئ، فازدادَت التجربة التماعاً واختلافاً، بالرغم من أنَّ ما يُكتب كثير، لكنَّ الطفل في داخلي كان مسروراً وهو يلتمس آراء من يقرأون.

نشرتُ مجموعتي القصصيّة الأولى (ضوء جديد) عام ٢٠١٦، وكانت تجربتي الأولى ونتاجي الأول، وربما ظهرت هذه المجموعة صغيرة، ولكن عمرها تجاوز عشرين عاماً، واتّجهتُ في جزء منها إلى القصة القصيرة جداً، وهو أسلوب حديث يجاري سرعة العصر، وقلة صبر القارئ ووقته، وفي هذا الأسلوب ومضات إنسانيّة، والتماعات نخطفها على عجل، فيها فكرة وصور مبتكرة، ولغة مكثّفة رشيقة.

كنتُ وما زلتُ عاشقاً للمكان الأردنيّ بتفاصيله المختلفة، كان أول درس تعلّمته في الكتابة عندما عرضتُ محاولاتي الأولى الخجلى على صديقي الراحل حبيب الزيودي، أذكر أنَّها كانت قصة قصيرة، وقد كنتُ في الثانوية آنذاك، وحبيب في أوج شبابه وتمرّده في الإذاعة. القصةُ تتحدّثُ عن صبيّ يمتهن (البويا)، يسكن في (برّاكيّةٍ) في المُخيَّم، ويعاني الفقر بمشتقّاته من فقر ويُتم وجوع، وأذكر أنَّ حبيب – رحمه الله – قال لي: «محمد هذه ليست بيئتك لتكتبَ عنها... أنتَ ابن القرية».

كانت تلك الكلمة أول الإضاءة في داخلي لأتذوّق سحر المكان، ولأحفر في بطون القرى، وفيها من الحكايات والموروث لأستكشفَ ما وراءها من كنز كبير يُشبهني في تفاصيله، ويجعلني أقرب للناس، بطعم لا يتكرّر، مثل ريحان البيوت، وقهوة الفجر، وتعاليل المساء.

وجاءت مجموعتي القصصية الثانية (وحيداً كوتر ربابة) عام ٢٠١٩، فيها من حكايات القرى، وربّما يومها شعرتُ أنّني اكتشفتُ نفسي هنا، شيٌ يُشبهني، وتفاصيل تتعمّق في الذاكرة عن حكايات الناس وطقوسهم وخرافاتهم، نستدعيها لنرى ماضيَنا، ونفسِّرَ حاضرنا، ونستشرفَ مستقبلنا، فالكتابة هي سحر المكان.

وظلّت الأمكنة تسحرني، ومن خلال ألقها نعكس ما سكن منها في أرواحنا، فيرتدّ حبراً على ورق، وإبداعاً لا يتكرّر، وأحاسيسَ لها طعم مختلف.

في (فاطمة) لم أكن أفكّر لأكتبَ رواية، وقد استفزّني نصٌّ قصيرٌ للروائيّ هاشم غرايبة عن عمّته «آمنة»، فبدأتُ أكتب نصّاً عن فاطمة، وقد تفاجأتُ أنّني كنتُ أحمل ثقل التفاصيل في ذاكرتي، لم تتركني حتى أفرغتُها في ٢٢٤ صفحةً على الورق، أتعبتني حتى اكتملتُ منها، وشعرتُ بأنَّها كانت مشروعي الذي كنتُ أبحث عنه وانتهيتُ منه، بالرغم من أنَّها جاءت صدفة، وأجمل ما يأتينا في الحياة صدفة.

وهكذا دائماً تأخذنا الكتابةُ نحو دروب جديدة، نكتبُ لنحرِّرَ ذواتنا من عوالق الحياة، لنُفرغَ تعب الوعي وثقل الأسئلة الكبرى، ولنلمسَ وجع الناس بأقلامنا، ونخفّفَ منه في أرواحهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

المختبر

- الموتُ المعادلُ الموضوعيّ للحياة في رواية (ماندالا) للكاتب مخلد بركات ..... إيمان عطير
- تكنولوجيا الاتّصالات.. ترسمُ خريطةً جديدةً للأدب ..... أماني المبارك
- المحاولةُ والخطأ.. النظريّة المفقودة في ثقافة الشباب ..... د. أسامة خالد أبو الغنم
- الكتابةُ بينَ الخيالِ والشعريّةِ في قصة «المرأة التي قرأت الجهات» ..... د. محمد حسين السماعنة

الموتُ المعادلُ الموضوعيّ للحياة في رواية (ماندالا) للكاتب مخلد بركات

إيمان عطير

يخرجون من سبخة الموت، الآن

ربما عراة، مذبوحين، على شكل ماندالا

على شكلِ دمىً شجريّةٍ، أو نجمةٍ سداسيّةِ الأضلاع!

وحدهم.

(العياشي، يحيى، شوكت الضبع، ألكساندرا الشقراء، هدية البصري، وصيته ابنة عمي)

وخفتُ ألّا أجدَهم، وأنا الطريد الرميم في عوالمي السفلية... فيتيهوا من جديد!!) ص5.

في بناءٍ دراميٍّ وانفعالاتٍ متواترةٍ، كُنهُها تكافؤُ المكنون الدّاخليّ والحقائق الخارجيّة، تنطلق الرؤية النّصيّة للماندالا منكفئةً على مقاربة الإبداع اللغويّ المعادل للواقع، وعلى سردٍ محمّلٍ بالأبعاد الفلسفيّة والذاتيّة العميقة، يتحقّق الموت لكونه المعادلَ الموضوعيَّ للحياة، بتوظيف الرموز والمكوّنات العجائبيّة والأحداث المتوالية؛ بُغية خلقٍ موضوعيٍّ بديلٍ للمباشرة التعبيريّة، يحاكي الواقع ويحكي عوالم شخوصه.

يُعنى المعادل الموضوعيّ بطريقة التّعبير عن الانفعال من خلال مجموعةٍ من الموضوعات والأوضاع والحوادث المتسلسلة، مع حتميّة دور هذه العناصر الفنّيّة في معادلة ذلك الانفعال والتعبير عنه، ويتمّ هذا باختيار الأديب بطلاً لقصته خشية تجلّي الذاتيّة فيها، يُحمّله تجربته الشخصيّة وتصويرها مباشرةً، فيُعطيه حرية التّصرّف والتّحرّك وفق ما يقتضيه الموقف في سبيل غواية الجمهور عن البطل الحقيقيّ، وإيفاء الرؤية الوضوح والشمول والموضوعيّة، منه كان المعادل الموضوعيّ للتجربة الثيميّة والوجوديّة في الماندالا، للشخصيّة الظّل (الدكتور صلاح العواد):

«تتكاثر أشباه هذه الأسئلة في أعماقي مثل فراخ البطّ على ضفاف بركة، في اللحظة التي لا أرى فيها إلّا العماء،

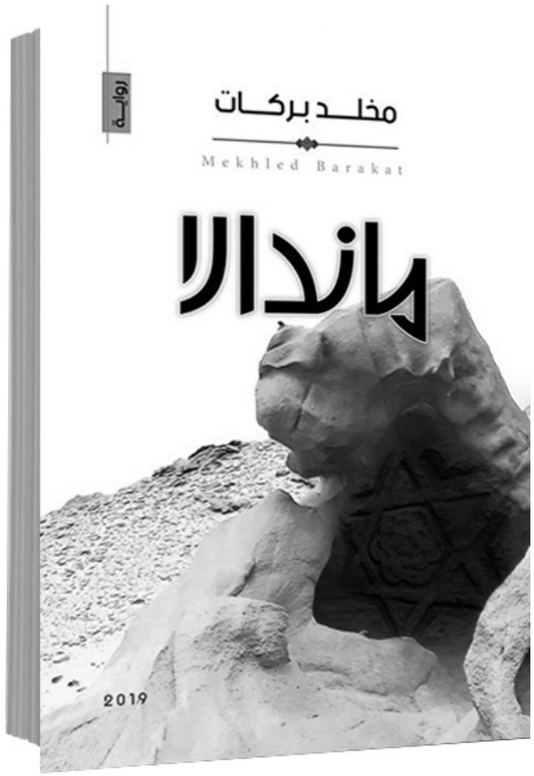

وقد سقطتُ في قعر بئر مظلمة ولم أخرج منها، حدث ذلك في عام 1967م، كنتُ فتىً بدوياً ناريّاً بلون القرميد، وقرّرَتْ قبيلتي بعد مشاورات أن تكون هذه البئر المتاخمة للصحراء قبراً لي، فأغلقوا الباب على جثتي المتحلّلة في الماء الضحل!

لكنّني حينما أصنع ذكرياتٍ قادمةً لأقتاتَ عليها، وأنا لم أعايشها كي أحلّلها في داخلي، أتساءلُ من جديد: هل تنفعني هذه الذكريات بما يكفي لأعيشَ الموت بطقوس الحياة؟!». (ص8-7)

تصبح النهاية هي البداية، ومكمن الحقائق الوجوديّة الكبرى في عالم (صلاح العواد) الجديد، وبخصوصيّةٍ روائيّةٍ ينقلنا البطل إلى الفضاء السياسيّ العربيّ (هاجس الأبطال)، وتبعات الأحداث السياسيّة في الذّات العربيّة المغتربة والمتشظّية، فيحاكي باشلار في الحنين إلى الجذور (المكان الأليف)، والبحث عن المدينة الفاضلة المنشودة بعين الرهبة والرغبة، والماثل في الصحراء موئل البعث والغياب والاحتمالات المندفعة من أعماق الذات، فيتجاوز المكان أنطولوجيّته، باحتضان قبورٍ متجاورةٍ للشّخصيّات الرئيسة: (صلاح العواد، يحيى عبد الرزاق، وعبد السلام عياشي).

يغدو من خلالها القبر سجناً صغيراً في فضاء سجن الحياة الكبير، يحيل إلى أصوات الاحتجاج والبحث عن الخلاص والحريّة، ضمن علائق الشخصيّات الروائيّة المُثيرة محورَ الصراع والحدث والحكي معاً، بنسجٍ محدّدِ الرؤية، متّحد الصّراعات الفكريّة والذاتيّة، وتصوير الإنسان ومحاولاته المستمرّة والمضنية لحلّ مآسيه الاجتماعيّة، ولغزه الوجوديّ والمصيريّ، بدءاً من النهاية الحتميّة الموت (الغياب) كمعادلٍ موضوعيّ للحرب، وتبعات الظلم والقمع والاضطهاد، واندثار المُثُل والقيم.

ومن خلال القطع المكانيّ والزمانيّ، واغتناء السّرد بالحوار والمونولوج عبر عالمٍ تجسيديٍّ جدليّ، وتوظيف الوصف

والاستحضار والإيحاء، والمؤثّرات الصوتيّة والموسيقيّة والجنسيّة، يطرح كاتبنا وجهة نظره ومادّته الحكائيّة، والتي قِوامها البطل المؤثّر والفاعل، المتّحد بالمكان ومجريات أحداثه؛ لرصد أزمة الإنسان العربيّ، بدءاً بالأزمة السياسيّة، مروراً بأزمة الانحراف الأخلاقيّ والقيميّ، وانتهاءً بالأزمة الوجوديّة القلقة، في عملٍ تجريبيّ يرسم الواقع بصورةٍ بانوراميّةٍ متصاعدةٍ، تنأى عن التّراتبيّة الزّمانيّة والمكانيّة، بالاتّكاء على الانتقال بين المشاهد واللوحات المُرقّمة، بما يشبه تِقْنيّة (الفلاش باك) وفق ما يناسب بناء الشخصيات وتنامي الأحداث.

.... ثمّ قالت بلهجةٍ حادّةٍ:

الموتى يعشقون الأسرار، اسمعني جيّداً، في مرسمي سبع غرف، كلّ غرفة فيها سرّ يشكّل لك معنىً ما لفهم مغزى رحيلك عن الحياة، ربما لا يشكّل أيّ رغبة للبشر خارج هذا المبنى، ما يهمّني أنتَ يا صلاح؛ لأنَّكَ الطريد المُطارد، والقاطف من تعب العمر قبراً في زنزانة! أو بئراً في صحراء. (ص44)

إنّ نسقَ السّرد واللغة المنزاحة دلاليّاً، ورمزيّتها الكثيفة، تفتح أفق المتلقّي للتأويل أنّ الغرف وموجوداتها، ومحاولة (صلاح العواد) الولوج فيها، وكشف خباياها، يُمثّل المعادل الموضوعيّ لصراع النفس والجسد، بمفارقةٍ قائمةٍ على التّضادّ بين ثنائيّة الحياة والموت، وما انبثق عنهما من ثنائيّات أخرى، مثل: (الخير والشر، الفضيلة والرذيلة، العدل والظلم...). في دوائرَ منفصلةٍ متقاطعةٍ تكتنز الغموض والألغاز، وأسئلة العبث الوجوديّ، وفي أسلبةٍ لغويّةٍ غنيّةٍ فنيّاً وجماليّاً، تحيل إلى (الماندالا) الرمز الأسطوريّ لعالم النفس (كارل يونغ)، واعتقاده أنَّ الماندالا تعبّر عن الرغبات، وترسم الذات بعالمها الواعي واللاواعي؛ لتُشكِّلَ مجتمعةً العالم الروائيّ وحكايته:

«ومن جديد مددتُ يدي، في رطوبة الماء الضحل؛ لألمسَ جسداً ينام جنبي، واستدرتُ فوجدته يشبهني، كثيراً يشبهني، فتى قديم بلون القرميد، ابتسم، ثم أغمض عينيه، وغرقنا في النعاس!». (ص180)

إنّ الواقع الحكائيّ بمعطياته الثريّة، قد شكّل مادةً خصبةً وغنيّةً بالتجارب الحياتيّة التي اختزلت الألم الإنسانيّ، وسعي الذّات إلى تجاوزها والتغلّب عليها، فكان الواقع بمعطياته كافّة، وتجاربه الإنسانيّة المكتملة، والخلفيّة الأبستمولوجيّة القائمة على الاستبصار المفضي إلى إنتاج المعرفة والوعي بالذّات والعالم، يُمثّل انعكاساً جماليّاً اغتنى بالتِّقنيّات الفنيّة والجماليّة، كالمجاز والاستعارة والمفارقة والتناص... والتي عمل القاصّ على توظيفها والتفرّد في مزجها في خطابه الروائيّ ببراعةٍ وإتقانٍ، وذلك في عدّةِ مواضعَ في الرّواية:

بؤسي لا يمكن الإمساك به، فهو ابن الخديعة... (ص9)

... وهدأ حوارنا قليلاً، ثمّ ارتدَّ بصره إليَّ وهو حسير. (18)

... نلوب كأدخنة منبعثة من كهوف الإنسان الأول، في أودية سحيقة، كأنّنا لم نكن، الصدى هو الحقيقة والصوت مجاز. (61)

أنا خارج الوقت، ذرّات جسمي من الرمل... (119)

أنا ميّت يا يحيى، ميّت، هل نسيت؟! ألم يقل جدّك العظيم: «ما لجرح بميت إيلامُ»! (ص134)

منهُ نقرّ أنّ (ماندالا) تُشكّل روايةً نخبويّةً، استقى من خلالها مخلد بركات قاموسه الثريّ وثقافته الموسوعيّة؛ لإنتاج عملٍ إبداعيّ تجريبيّ لغةً ومضموناً، اغتنى بالأجناس الأدبيّة والتكنيكات المنظّمة، والتجارب المؤدلجة؛ لتغدو الـ(ماندالا) أُحجيةً تستنفر أفق المتلقّي (القارئ النموذجيّ) وتستفزّه؛ لفكّ شيفرتها وفهم دلالاتها التّأويليّة المنشودة المستكنهة في عالمٍ كونيّ متقاطعٍ، وفي كسر ومغايرة المألوف، فالرواية هي المعادل الموضوعيّ للحاضر الجمعيّ المعيش، رغم تعدّد أحداثها، واختلاف منابت شخوصها، وتعدّد مرجعيّاتهم.

تكنولوجيا الاتّصالات...
ترسمُ خريطةً جديدةً للأدب.

أماني المبارك

في خِضمّ الثّورة الّتي أحدثتها تكنولوجيا الاتّصالات الّتي نواكبها بشكل سريع، والتّطورات التّي اقتحمت جوانب الحياة المختلفة، كان لا بدّ لنا من الالتفات إلى التأثير الحاصل في الأدب العربيّ بمختلف حقوله: الشّعر، النّثر، القصّة، الرّواية، المقالة، والرّسائل، وتسليط الضّوء على عدّة محاور لها ارتباط كبير في المشهد الثّقافيّ بشكل عام.

فإذا نظرنا إلى مفردة الأدب، نجدها زاخرةً بالتّراث والأصالة والجذور العتيقة، أمّا مفردة التّكنولوجيا، فإنّها تُنبّئ عن الحداثة وما يرتبط بها من أجهزة وشاشات واختراعات، إلى أن صار احتكاكٌ ما بينها، فكيف اجتمعت هاتان المفردتان، وخدمتا الأدب بولادة طيف أدبيّ شابّ يُعوَّلُ عليه نوعاً ما، رغم التّضاد؟

ممّا لا شكّ فيه أنَّ للتّكنولوجيا أثراً واضحاً على الأدب العربيّ، فقد تمخّض عنها جيل أدبيّ من الشّباب الّذي أخذ على عاتقه مهمّة الأدب، وجعله وظيفته اليوميّة التّي تعبّر عن همومه وتطلّعاته، وذلك من خلال نشر النّصوص، وتعديلها، وحذفها، وتسجيلها، أو حتّى الظّهور عبر الكاميرا وكأنّه في أمسية أدبيّة يتابعها حضور كبير من مختلف أنحاء العالم، على مسرح من التّطبيقات المختلفة، هذا جلّه جعل الكاتب والمتلقّي في نقطة تقارب واضحة، يستطيع من خلالها أن يعبّر المتلقّي أو المتابع عن إعجابه، ووضع رأيه في خانة التّعليقات، أو التّسجيل الصّوتي، أو حتّى الردّ المباشر من خلال انضمامه للبثّ الّذي يظهر فيه الكاتب، بالتّزامن مع وجود الإعلاميين، وأصحاب المواقع الإلكترونيّة، وأصحاب المجلّات الّذين يتهافتون على من أصبحت حولهم هالة الشّهرة لنشر أعمالهم الأدبيّة، الّتي لا تحتاج الوقت والجهد الكبيرين.

إضافة إلى خلق الحوار والنّقد المباشر عن النّص المنشور، أو الأعمال الأدبيّة الصادرة له عبر وسائل الاتصال المختلفة، فالكتاب أصبح بيد المتلقّي بكبسة واحدة عند تحميل ملف المستندات، حتّى وإن كان المحتوى المُقدَّم ليس بالشّكل الذي يليق، وفي حاجة لبعض التّعديلات، وتنقيحه من جديد من قبل المختصّين، ووفرته على حساب النّوع، واللّغة غير السّليمة عند بعض الكُتّاب.

فهذا يعدّ من السّلبيات لسوء استخدامهم تكنولوجيا الاتّصال، الّتي ساعدت على ظهور بعض المتسلّقين للأدب على المواقع الأدبيّة، الّذين لا تمتُّ أعمالهم للأدب بصلة، ولم يقدّموا إضافة إلى المحتوى الأدبيّ المطروح عبر وسائل الاتّصال، سوى تشويه الحقائق، والاستخفاف بذائقة القرّاء، بالرغم من شعبيّتهم وشهرتهم على مواقع التّواصل الاجتماعيّ، ممّا يُثير القلق حول مستقبل الأدب وروّاده، فوجود مثل هؤلاء المتسلّقين يشوّه ويسيء إلى نبل وأهداف الأدب السامية.

وتجدر الإشارةُ هنا إلى أنّني لستُ بصدد التّعميم؛ لأنّني أؤمن بأنَّ أصحاب المواهب والمشاريع الأدبيّة الحقّ يتواجدون في كلّ زمان وفي كلّ مكان، مهما حدث من تطوّرات، وبالتّالي حقّقت تكنولوجيا الاتّصالات للشّباب كلّ ما يريد إيصاله وهو جالس في مكانه، بعيدًا عن خوض التّجربة الحقّ، وصقل الموهبة، وتطوير أدواته الكتابيّة من خلال الاطّلاع على تجارب من سبقوه من الكتّاب الذين عاشوا قبل الثّورة التكنولوجيّة، التّجارِب الّتي وُلدت من رحم البيئة، وقسوة الظّروف، والافتقار للمنصّات، واحتكار الأمسيات والنّدوات على بعض الأسماء المعروفة، وشحّ النّشر لأعمالهم الّتي كانت تقتصر على بعض دور النّشر، والمجلات والجرائد الورقيّة ذات الجودة الجيّدة، مقارنةً مع ما توفّره التّكنولوجيا الرّقميّة من خدمات كبيرة للمؤلّفين والنّاشرين الآن، ساهمت في تطوير الكتاب بأشكال تقنيّة إبداعيّة، وتصويريّة وسماعيّة.

وبالتّالي لا أرى أنّها قضت على الكتب المطبوعة، وإنّما تعايش الاثنان معًا، وهذا في حدّ ذاته يُعَدّ إنجازًا عظيمًا في الثّقافة الرّقميّة، ومنحَ الشّبابَ المبدعَ فرصةَ الظهور بأعماله الأدبيّة بكلّ يسر وسهولة، وتواصلًا مع قرّائه، وإعادة بعضهم من دائرة الظّلام والعزلة، إلى ألق النور والإبداع من جديد.

ولم يقتصر الظهور على الكتّاب الشّباب الهواة فقط، وإنّما استطاع الكاتب التّقليديّ المكرّس لمشروعه الأدبيّ أيضًا الانخراط في هذا العالم الأدبيّ الجديد، وأن يكون له موقعٌ خاصٌّ على هذه الخريطة الأدبيّة الّتي حدّدت ملامحها تكنولوجيا الاتّصالات، فنتيجة لهذه البيئة الخصبة الّتي أوجدتها تكنولوجيا الاتّصالات باحتضان المواهب الشّبابية واحتوائها، تمخّض عنها ولادة طيف أدبيّ، لكن في المقابل ساهمت أيضًا في وفرة المُنجَز على حساب النّوع، فإذن العلاقة المتينة ما بين الأدب والتّكنولوجيا، ساهمت بفضلٍ كبيرٍ في الارتقاء بالمشهد الثّقافيّ بشكل عام.

هل الحلّ أمام هذا الطّيف هو استنكار ما يحدث من قبل بعض النّقاد والمثقّفين، أم هناك خطوات يجب القيام بها؟

«النّقد مثل المطر ينبغي أن يكون يسيرًا بما يكفي؛ ليُغذّيَ نموّ الإنسان دون أن يدمّر جذوره».

فرانك كلارك

ويقول النّاقد والقاصّ والأستاذ الجامعيّ شكري عيّاد: «وللنقد أشواك، أقلّها إيذاءً أن المنقود لن يرضى عنك أبداً».

الأدب الشّبابيّ بات أسير المنتصف، يتسمّر ما بين الرّفض والقبول في آن واحد، هذا الطّيف الأدبيّ بانتظار صدور صكّ للنّقد حتّى يكون على مسافة بعيدة من النّقاد والمثقّفين المختصّين، ممّا يضطرّه في ما بعد إلى استنكار ما يقومون به في ظلّ الإشكاليّات المطروحة على السّاحة الثّقافيّة، ألا وهي غياب الفكر النّقديّ عن الكثير من الأعمال الإبداعيّة، وبالتّالي تعرّضها للتّهميش، وفقدان بريق المنتج الإبداعيّ الشّبابيّ في بداية مسيرته، وتعرّضه للإحباط.

فلا أظنّ أنّنا سنختلفُ في أنَّ تطوّر الإبداع والكتابة يتوقّف على هذه العمليّة النقديّة، من خلال توجيه الكاتب إلى أهميّة القراءة النقديّة، والحرص على امتلاكه أدوات الكتابة الإبداعيّة، ووقوفه على مواطن القوّة والضّعف في كتاباته، فالنّاقد الحقّ تقع على عاتقه متابعة ما يُنشر، وتقويم مسيرة الكاتب، ومرافقته باستمرار؛ لتوجيهه إلى ما هو أسلم وأصوب، وإنارة السبيل له ليبدعَ ويكتبَ عن بصيرة، متفاديًا الهفوات الّتي اعتاد الوقوع فيها.

كما يقع على عاتقه أيضًا التمييز بين الجيّد والرّديء، السّمين والغثّ، في الكتابات المنشورة، على غرار ما كان يفعله أسلافنا، بدايةً من العصر الجاهليّ، حينما اتّخذوا من الأسواق الشعريّة – كسوق عكاظ مثلًا – مكانًا خاصًا للنّقد، فقد كان يُبدي فيها النّقاد من الشعراء رأيهم في القصائد الشعريّة، وصولًا إلى النّقد في العصر الحديث، حيث اطّلع العرب على المناهج النّقديّة الأدبيّة في أوروبا، واستفادوا منها من خلال النّهضة الفكريّة والثّقافيّة.

وانطلاقًا من أنّ النّقد علمٌ وفنّ، يُدرَّس في الجامعات، لا يجوز أن يُخالطه الرّياء، أو المجاملة، أو المصلحة، أو إطلاق الآراء السطحيّة على المنتج الأدبيّ، فهذا لا يصبّ في مصلحة الطّيف الأدبيّ ولا الأدب، فالموضوعيّة خير ما تتطلّبه السّاحة الأدبيّة الفائضة بسيول عارمة من المنتجات الأدبيّة في مختلف المجالات.

ما هو دور النّقاد، والمؤسّسات، والمجلّات، والدّوريات، والملاحق الدّورية، في هذا الأمر؟

إيمانًا منّا بأهميّة الشّباب الّذين هم شعلة النّشاط والعمل الدؤوب، وأصحاب الطّاقات الإبداعيّة المختلفة، بالإضافة إلى إرادتهم الفاعلة في التغيير والتّجديد في الفضاء التكنولوجيّ الواسع، الّذي يتّسع لآمالهم وطموحاتهم، على النّقاد، والمؤسسات، والمجّلات، والدّوريات، والملاحق الدّورية، دورٌ رئيسيٌّ في دعم هذا الجيل أو الطّيف الأدبّي؛ لتُنمّى قدراته وإمكانياته مُسلَّحًا بروح الإرادة، والعلم، وبناء الذّات، والصبر، والنقد.

فالنّقاد – كما أسلفتُ عنهم سابقًا في المحور الثّاني – لهم الدّور الكبير في احتضان هذا الطّيف الأدبيّ، وأضيف هنا ضرورة تأسيس ثقافة نقديّة تستند إلى مقوّمات أكاديميّة تخلو من غير المتخصّصين في النّقد، والعمل على تجنّب المجاملات الزائفة؛ وذلك لخدمة العمل الإبداعيّ، وعدم اللّجوء لتزييف الحقائق؛ كيلا يصبح الشبابُ فريسةً للمحاباة، وأيضاً محاربة نظريّة أنَّ النّقد يهدم الإبداع، وبالتّالي عدم تقبّله من الشّباب، فلزامًا عليهم تصحيح هذه النّظرة الخاطئة، وخصوصًا عندما يكون النّقد من الدّارسين له على أصول علميّة، فيتعاملون مع المنتج الأدبيّ بكلّ حرفيّة وتعمّق بالتّجربة، حتّى تتبلور الأفكار الجديدة، وإنتاج نماذج إبداعيّة أقوى وأفضل، لا أن تكون نسخًا مكرّرة بالتّزامن مع التحوّلات المذهلة التي شهدها واقعنا المعاصر، فالمسألة

أصبحت متشابكة ومعقّدة، فلا يوجد مجال واحد يستطيع ضمّ الطّوفان الكبير من الكتابات الإبداعيّة.

أمّا المؤسّسات الحكوميّة منها أو الأهليّة، فمن الواجب عليها التّركيز على هذا الطّيف الشبابيّ، من خلال وزارة التّربية والتعليم، ووزارة التّعليم العالي، ووزارة الشّباب، والمراكز الثّقافيّة، وأشير هنا إلى الدّور الذي تقوم به وزارة الثّقافة في عقد المحاضرات والنّدوات والمسابقات الأدبيّة، والورش الخاصّة بالكتابة الإبداعيّة من قبل المختصّين؛ لمخاطبة عقول الشّباب وتنمية قدراتهم، وفتح أفق جديدة لديهم، واكتساب المهارات الأساسيّة في الكتابة، وانخراطهم في التّجربة على أرض الواقع؛ لينتج عنها العطاء الكبير في الأفكار والرؤى الجديدة.

وحتّى يتحقّق الإنصاف لهذا الطّيف الأدبيّ، أتمنّى ألّا تقتصر هذه الدّورات والورش على العاصمة عمّان، وإنّما تمتدُّ لجميع المحافظات، وأطراف المحافظات من القرى المهمّشة، فالمواهب بشتّى أنواعها تفترش خريطة أردنّنا الحبيب، وأن تُعنى بالمواهب الشبابيّة الجادّة بعيدًا عن المحاباة وتدخّل أصحاب السّلطة.

وفي هذا المجال يسعدني الإشادة بمختبر السّرديّات، وما يقوم به من دور كبير في احتضان الجيل الأدبيّ، ومواكبته كلّ جديد في السّاحة الثّقافيّة، والذي أسّسه عدد من الكتّاب الأردنيّين في عام 2017، وفي التفاتة لرئيس ومؤسّس مختبر السّرديّات الكاتب مفلح العدوان في بترا:

«ولفتَ العدوانُ إلى أهميّة تأسيس مختبر السّرديّات الأردنيّ، جاء انطلاقاً من الوعي بأهميّة السّرد، وحضوره بشكل لافت في المُنتَج الإبداعيّ المحليّ والعربيّ والإنسانيّ، وتطوّره وتشكّله في أكثر من قالب إبداعيّ، ممّا يستدعي ضرورة معاينة هذا الكمّ السّرديّ المُنتَج في الرّواية والقصّة والمسرحيّة، والنّصوص المختلفة على تجنيسها؛ لتكون معاينتها بعين واعية وناقدة، والإسهام في خلق بيئة مُبدعة حرّة خلّاقة، من خلال المراجعات والقراءات، واستنطاق النصّ الحاضر، واستحضار النّماذج المُبدعة، وفتح الأبواب للمغامرات السّردية الجديدة؛ كي تعزّز هذا الحضور الإبداعيّ المهمّ، في ما يخصّ كافة الأجيال المُبدعة في مجال السّرد في الأردنّ؛ ليكون تلمّسه بكلّ تجلّياته وأبعاده الإنسانيّة ومساحاته الإبداعيّة».

كما أودّ الإشادة بالدّور الكبير أيضًا الّذي تقوم به المؤسّسة الأهليّة، مؤسسة عبد الحميد شومان، الّتي تأسّست من قِبل البنك العربيّ في عام 1978، كخطوة رياديّة منه للمساهمة في تأسيس منارة للمعرفة والإبداع في الأردنّ والوطن العربيّ، وبالتّالي قدّمت الكثير من الفرص والمنح للشّباب المبدع، من خلال برنامج الأدب والفنون الذي عمل على تنمية المواهب والمهارات الأدبيّة والفنيّة، عن طريق توفير الأنشطة الفنيّة والأدبيّة بأنواعها للجميع.

أمّا المجلّات الأدبيّة والفكريّة، فتُعَدّ عصب الحياة الفكريّة للشّعوب، فلها الدّور المؤثّر في تفعيل الحركة الأدبيّة والثّقافيّة، والتّنوير والانفتاح على الآخر، وذلك يتأتّى من خلال نشر الإنتاج الأدبيّ للشّباب بمختلف حقوله، والأخذ بأعمالهم إلى آفاق جديدة، وجمهور جديد، يستطيع من خلاله الانخراط مع مَنْ سبقوه من الأجيال صاحبة التّجربة والإبداع الحقّ، وهذا من شأنه أن يفتح أمام الشباب فرصًا كثيرة للتّجديد والابتكار.

وهنا تجدر الإشارة إلى مجلّة (صوت الجيل) التّابعة لوزارة الثّقافة الأردنيّة، التي يترأّس تحريرها الرّوائيّ الأردنيّ جلال برجس، وهي مجلة تُعنى بثقافة الشّباب، واكتشاف المواهب الجديدة في عالم الكتابة، إلى جانب الدّراسات النّقديّة والفكريّة.

والدّور كذلك يقع على كاهل الملاحق الدوريّة، من خلال قدرتها على استيعاب كلّ جديد من الكُتّاب والأدباء الشّباب الذين لم تُتَحْ لهم الفرص بعدُ لأن يُعرَفوا على السّاحة الأدبيّة، وتقديمهم للمتلقّي بعيدًا عن تقديم إنتاجات أسماء معروفة لاعتبارات التّسويق، فنأمل أن يتوافرَ العدلُ في النّشر، ويكونَ المعيارُ الرّئيسيُّ هو مستوى الإنتاج الأدبيّ الجادّ فقط، بعيدًا عن سلطة الصّحافة.

المحاولةُ والخطأ..
النظريّة المفقودة في ثقافة الشباب

د. أسامة خالد أبو الغنم

لا يمكن قبول الخطأ ولا أحدَ يحبّه، لكن لا يمكن تجاهل دور الخطأ في مسيرة حياتنا، إذ يصبح بشكلٍ ما سبباً لتقدّم حضارة الإنسان وازدياد خبراته، فمع كلّ محاولة تنتهي بنا إلى الخطأ، تُفسَّرُ بخطوةٍ نقترب بها إلى الصواب الذي يقود إلى التطوّر وتراكم المعرفة والخبرات.

لكنَّ ثنائيّة الخطأ والصواب تأخذ العقل البشريّ إلى مفارقات الخير والشر، أو النور والظلمة، فيكون الخوف مثقلاً بنهاية الفشل، أي النقيض المختلف والمضادّ لكلّ ما هو جميل وناجح. هذا الإرثُ شكّل عائقاً أمام ثقافة المحاولة والخطأ، حتى أصبح مبدأ الفكرة قائماً على وصف كثرة التجريب بالمغامرة والاندفاع والتّسرّع، ممّا خلق جيلاً من الشباب بعيداً عن التجريب والمحاولة، وقريباً إلى التقليد.

تُشير نظرية المحاولة والخطأ إلى عملية أساسها التعلّم والاكتشاف، أي إنَّ هناك دوراً إنتاجيّاً لسلسلة الأخطاء المتكرّرة، على اعتبار العملية الأولى في إنتاج المعرفة، إذ يتعلّم الإنسان من خلال سلسلة من دورات المعرفة القائمة على المحاولة والخطأ، فتصبح مقولة: «الإنسان يتعلّم من أخطائه». صحيحةً بشكل منطقيّ لا يقبل الشّكّ فيها.

نظريّة المحاولة والخطأ واحدة من أكثر أشكال التعلّم فائدةً، عندما نرتكب خطأً أو نفشل في شيء ما، فإنّنا نُعطي أنفسنا فرصةً لتحليل هذا الفشل، وإجراء تغيير بعد عملية تقويم، ثم المحاولة مرة أخرى، ففي علم الرياضيات يُعَدّ مبدأ التجربة والخطأ أحد أهمّ الطرق المستعملة لحلّ المسائل، خاصة المعقّدة منها.

يمكن أن تفيد نظريّة المحاولة والخطأ في عملية حلّ المشكلات، فالتجريب المستمرّ بُغية اختبار الفرضيّات، سيقود في النهاية بعد عملية التكرار إلى الحلّ، وهذا التجريب سيراكم معرفةً ليست بالقليلة حول المشكلة وما شابهها،

وسيصبح الحلّ قريباً بحكم التجريب والمحاولة، ويزيد من اكتساب الخبرة.

في كثيرٍ من النواحي، تصبح طريقة المحاولة والخطأ هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نتعلّم منها بشكلٍ واقعيّ وعمليّ، فعند ارتكاب الأخطاء، فإنّنا نسمح لأنفسنا بالمراجعة والتأمّل الذي يُمكّننا من إجراء التغيّرات والمحاولة مرة أخرى، لكن دون سيطرة المحاولات علينا، وتصبح بالتالي نهجاً للحياة بالانسياق وراء التجريب، والذي سيقود إلى دوّامة من المحاولات التي ستزيد خسارتنا للوقت بعيداً عن الإنتاج.

من جهة علميّة كان (ثورندايك) من أوائل علماء النفس الذين حاولوا تفسير التعلّم بحدوث ارتباطات بين المُثيرات والاستجابات، ويرى أنَّ أكثر التعلّم تميّزاً عند الإنسان، هو التعلّم بالمحاولة والخطأ، كما يحتلّ الموضوع سجالاً طويلاً في علم النفس التربويّ، إذ يرتبط بمواضيع التعلّم بالأثر، وطريق البديل الصحيح، وغيرها من المفاهيم التي أسّس لها ونظّمها المفكّر الأمريكيّ (ثورندايك)، وهو من أوائل علماء النفس الذين حاولوا تفسير التعلّم بحدوث ارتباطات بين المُثيرات والاستجابات.

ينطلق هذا النموذج في تفسيره لحدوث عمليّة التعلّم وفقاً لمبدأ المحاولة والتجربة، أي إنَّ الارتباطات بين الاستجابات والمُثيرات التي تتشكّل اعتماداً على خبرات الفرد بنتائج المحاولات السلوكيّة، التي يقوم بها حيال المواقف المثيرة التي يواجهها ويتفاعل معها، بحيث يتعلّم الاستجابة المناسبة من خلال المحاولة والخطأ.

جيل الشباب افتقد شيئاً من زهوة التجريب المستمرّ، والتي تُشير أساساً إلى المحاولة، وأصبح يُطلب من الشباب تقليص المحاولات وعدد أكبر من النجاحات، وكأنّنا تناسينا أنَّ المحاولة الدؤوبة – وإن كانت سلسلةً من الإخفاقات – هي نوعٌ من التعلّم، وخبرةٌ مضافة للتجارب، ستوصل في النهاية إلى الهدف أو النجاح المطلوب.

ربما هناك عقدة الفشل والإخفاق التي تلازم المخيال الشبابيّ الذي يوجّه العقل الجمعيّ بضرورة الابتعاد عن التجريب المستمرّ والمحاولة المتكرّرة، والتي ستقود في النهاية إلى الفشل، ممّا يدفع الشباب للابتعاد عن تكرار المحاولة وتقليصها، والتوجّه نحو المحاولة المضمونة والمعروفة نتائجها، فانعكس ذلك على سبل محدّدة تنطوي على نتيجة حتميّة، فأصبح مسار التعليم الجامعيّ طريقاً بعيداً عن التجريب والمحاولة، ولا ينتهي بالفشل، بل يصبح الفشل على عاتق متغيّرات أخرى أوصلت نجاح الشباب في تجريب التعليم الجامعيّ إلى البطالة.

لعلّ فكرة الخوف من الفشل قادت شبابنا إلى نوع نمطيّ من التفكير التقليديّ البعيد عن الإبداع، والملتزم بسيناريوهات مألوفة ونتائج مكشوفة، أفضت في النهاية إلى تشابه النماذج الشبابيّة، وهو ناتج عن تجريب غالب وقائم على محاولة نمطيّة أوصلتهم في النهاية إلى تكرار نموذج متراكم، خلقه التقادم وانحسار مسار التجريب بمحاولة واحدة.

التجربة والخطأ هي إطلاق الشغف المكنون لدى روح الشباب، وطريق للاكتشاف والغور في سبل المجهول، والتي ستُمكّن الشباب من إزالة الفشل شيئاً فشيئاً؛ لتحديد المسار الأمثل للحياة والعمل، فمن غير العادل ربما أن تحصل دائماً على الأشياء المثاليّة من أول مرّة.

فالخطأ سبيل للتعليم، والمحاولة والخطأ تتيح للشباب تعلّم أشياء جديدة كأنّها فرصة لتعلّم الأشياء بالطريقة الخاطئة، بمعنى حتى لو فشلت، فأنتَ تعلّمتَ أشياءَ جديدةً مُكتسَبةً بممارسة الخطأ، وكأنَّ هناك علاقة طرديّة بين عدد الإخفاقات وبين فرص النجاح. في المقابل هذه النظرية تُتيح تجاوز الشباب اتّجاه قضية الخوف من الفشل، إذ المحاولات المتكرّرة والمتنوّعة تستند أساساً على كسر حاجز الخوف.

الأخطاء من جهة فلسفيّة ضروريّة لتحقيق زوايا محدّدة من الفهم والتعلّم، على الرغم من أنَّ الوقوع في الخطأ شيء مزعج، إلّا أنَّ الأمر يندرج تحت مبدأ (التعلّم من الأخطاء)، فمن المهمّ جِدًّا أيضًا أن نتعلّم من أخطائنا؛ حتى نتمكّن من تصحيح ردود أفعالنا، والقيام بالأشياء بشكل مختلف في المرة القادمة التي نكون فيها في نفس الموقف.

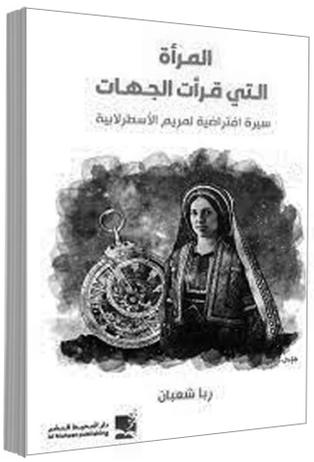

الكتابةُ بينَ الخيالِ والشعريّةِ في قصة «المرأة التي قرأت الجهات»

د. محمد حسين السماعنة

أصدرَتْ ربا شعبان مجموعةً من الأعمال الإبداعيّة منها: (صهيل الصباح)، و(سنخدع السراب)، وهي شاعرة وكاتبة وقاصّة، تمتلك مفاتيح الدخول إلى قلب المتلقّي، وفي قصتها الطويلة «المرأة التي قرأت الجهات» الصادرة عن دار المحيط للنشر في الفجيرة عام ألفين وثلاثةٍ وعشرين، بنَتْ في مئةٍ وخمسِ صفحاتٍ من القطع المتوسط، قصةً طويلةً مبنيّةً على سيرة افتراضيّة لشخصيّة حقيقيّة، هي مريم الإسطرلابيّة العالِمة العربيّة، التي تُعَدّ واحدةً من أشهر العلماء المسلمين.

وهي امرأةٌ ذكيّةٌ ترعرعت في حلب في القرن العاشر الميلادي، الثالث الهجري، وعملَتْ في مجال العلوم الفضائيّة، وكان لها أثر مشكور ممدوح في علم الفلك، فهي اخترعت الإسطرلاب المعقّد وطوّرته، وهو نفسه ذو الصفائح، من الآلات الفلكيّة القديمة التي كانت تُستخدم كساعة اليد، وفي حلّ المسائل التي ترتبط بالأجرام السماويّة، وفي معرفة الجهات.

وقد اعتمدت ربا شعبان في نسجِها لقصة مريم على خيالها وتوقّعاتها، جامعةً بين نظرة الواقع العربيّ المتأخّر للمرأة وتوقّعاته منها، فمريم التي عاشت في القرن العاشر الميلادي والثالث الهجري، عصر ازدهار العلوم، ورثت علم والدها كوشيار الجيلان، أو أبو الحسن الجيلي، العالم الفلكيّ الجغرافيّ، وورثَتْ أيضاً مكتبته، وأثبتَتْ نفسها مُحاضِرةً في دار العلوم وبيت الحكمة.

وتتدرّج الكاتبةُ مع مريم الإسطرلابيّة منذ ولادتها إلى وفاتها، مُحاولةً بناء نسيج سرديّ يضع مريم المُبتكِرةَ ضمن منظور الزمن المعاصر للمرأة، وجعلها تتحرّك بين عقبات كثيرة تعيشها المرأة في زمننا المعاصر ضمن الزمن السّرديّ الذي وُلدت وعاشت فيه، فهي تواجه التمييز بالتفوّق والحبّ والحنان، وتكسب مكانتها كسباً وتفرضها فرضاً، لا وراثةً كما الذَّكر.

وحدّدت الكاتبةُ الفئةَ التي يمكنها أن تقرأ هذا النصّ بـ(+17)، وهذا وضع على عاتقها عبئاً ثقيلاً، فهي اضطرّت لذلك إلى اختيار اللغة وتنقيتها، واختيار الألفاظ من ضمن معجم مناسب لهذه الفئة العمريّة، ثم إنّها اضطرّت إلى التسلّح بكلّ ما يمكن أن يظهر من معلومات تاريخيّة وعلميّة وفلكيّة، وبخاصة في حقول العلوم التي برعت فيها مريم الإسطرلابية، وأن تجمع ذلك في عمل إبداعيّ يليق بها ككاتبة ناضجة وشاعرة عالية القدم، فهل نجحَتْ ربا شعبان في نسجها وهي تحمل تلك الأثقال والمحدّدات على جملها وخيالها؟ وهل أنتجت شيئاً جديداً يستحقّ القراءة والإشارة إليه؟

تُبيّن عتبات النصّ أنَّ الكاتبة قد بدأت الكتابة وَفْقَ مخطّط مرسوم بدقّة، وهي لذلك اختارت مفرداتها وعباراتها وعتباتها بدقة وحرص شديدين؛ لإيصال رسالتها وهدفها من بناء هذه القصة ونسجها، وهي كما أرى تأكيد على قدرة المرأة على العطاء المميّز، وأنَّها لا تقلّ ذكاءً عن الرجل، فـ«المرأة التي قرأت الجهات» هي عتبتها الأولى التي تشير إلى أنَّ العشوائيّة لا مكان لها في هذا النصّ الذي يتحدّث عن سيرة افتراضيّة لامرأة استثنائيّة متفوّقة تقرأ الجهات.

وإصرار ربا شعبان على أن تكون لفظة المرأة هي الأساس في عتبة النصّ، يشير إلى مُضمَرٍ رافضٍ لما تواجهه المرأة في الزمن المعاصر، فهي كلام مُضمَر كثير على قدرة المرأة العربيّة، وعلى ما تواجهه في الزمن المعاصر من انتقاص لمكانتها وتقليل من شأنها، ويؤكّد ذلك كلّه اختيار لفظة تقرأ، فالقراءة تعني المعرفة والإحاطة، والتمكّن والسيطرة.

وكان الإهداءُ هو العتبة الثانية، فعلى عباراته المُعتمِدة على الفعل الدالّ على العمل والحركة، علّقت الكاتبة كثيراً من الإيحاءات عن سبب آخر للنبوغ والتفوّق، فقد أهدت نصّها إلى مدن عربيّة كانت قبلتها الحقيقيّة هي الحضارة، وخطّتها للتفوّق هي العمل الجادّ، ورصد نجوم الهداية، واحتضان الضوء والتمسّك به، فهي مدن عرفت الوجهة الصحيحة، وأنصتَتْ لصوت الجهات، فرسمت خرائط الحبّ، وضبطت أوقات الصحو والمطر.

ثم إنّها أهدت النصّ لرجلٍ هو أبوها الذي أوحت عباراتُها عنه بأنَّه آمن بها وبتفوّقها، فحرسها ودافع عنها، وساندها في مشوارها، كما فعل والد مريم الإسطرلابيّة؛ ليُبيّنَ النصُّ المُضمَرُ بوضوحٍ من خلف هذه العبارات، أنَّ المرأة في مجتمعنا العربيّ احتاجت دائماً إلى يد ذكوريّة قويّة تحميها وتحرسها وتستند إليها؛ لتُبدعَ وتتفوّق.

وبنت الكاتبةُ القصةَ على ست عشرة عتبة، كانت كلّ عتبة باباً لرصد طور من أطوار حياة مريم الإسطرلابيّة، أو حال من أحوالها، جعلت أولاها «امرأة قرأت الجهات»، ومن هذه العتبة بدأت ربا شعبان القصّ، ومشوار السرد الافتراضيّ الخياليّ في محاكاة لأسلوب الحكي المعتمد على المقدمة المُدهشة المستفزّة، وإثارة تشويق المتلقي لمعرفة ما سيأتي بعد ذلك، فقد انفتحَتْ هذه العتبةُ على مجموعة من الأسئلة التي مهّدت بها الكاتبة لمشروعها السرديّ، وأسباب كتابته، ودوافعها لكتابته، فبيّنت أنَّها قرأت كثيراً عن صحابيّات وأديبات ومفكّرات عربيّات، ولكنّها لم تقرأ من قبل عن مخترعة عربيّة إسلاميّة.

ثم إنّها أعطت مثالين على اهتمام الغرب بمريم الإسطرلابيّة، وتساءلت بحرقةٍ عن سبب اهتمام الغرب بمريم الإسطرلابيّة وإنصافهم لها دون العرب. وتابعت طرح الأسئلة السابرة المشوّقة، في «أوراق مبعثرة»، فهي بعد أن شبّهت التاريخ بالرجل الأعور، تساءلَتْ عن سبب إغماضه عينيه عن ذكر مريم الإسطرلابيّة، وإعطائه نصف الحقيقة عنها.

أمّا في «المحاق مخاض الضوء»، فاعتمدت على تِقْنيّة الحوار لتوضيح علاقة الأب بابنته، وموقف المجتمع من الأنثى، فهي صفحات كشفت الكاتبةُ فيها عن علاقة الأب العالِم بابنته الصغيرة ذات خمس السنوات، وكيف دخل حبّها إلى قلبه، فشبّهت العلاقة

بينهما بحال المحاق الذي يولّد الضوءَ، وهي عتبة أخرى عن انتزاع الأنثى الحبّ، لا حصولها عليه بهدوء وعفويّة.

وفي هذا الباب أيضاً إدانةٌ لموقف الرجل الشرقيّ من الأنثى، فقد وصفت حال الأب العالِم أبي الحسن الجيلي، المترقّب الباحث عن وريث من صلبه، وردّة فعله حين سمع أنَّ المولود أنثى، في إيحاء ذكيّ إلى أنّ العالِم كما بقيّة المجتمع، يرى الأنثى ضعيفةً غيرَ قادرةٍ على حمل الرسالة والعبء، واستلام ثروته الثمينة، فاستحضرَتْ على لسان العالِم الآيةَ القرآنيّة «وليس الذكر كالأنثى»؛ لتأكيد ذلك الموقف الجمعيّ المستخفّ بالمرأة، غير المؤمن بقدراتها.

ومن عتبة «الهلال ابتسامة السماء»، وفي «تربيع أول نصف القمر»، بلغت مريم الإسطرلابية سنّ الخامسة عشرة ومرحلة الشباب، التي أظهرت تألّق مريم وتفوّقها وحبّها للفلك والعلوم، فقد قفزت ربا شعبان بالسرد وبمريم قفزة زمانيّة طويلة، أوحت بما لاقته فيها هذه العالمة من عناية أبيها واهتمامه، وحمايته وحراسته لها؛ لما وجد فيها من صفات النبوغ والتفوّق، ولإيمانه بقدرتها على حمل العبء واستلام الإرث، فقد أوصاها يوماً أن تحقّق ذاتها بنفسها، ولا تنتظر من أحدٍ أن يكون بديلاً عن ذاتها.

وفي هذه المرحلة أظهرت الكاتبةُ أنَّ الأنثى على الرغم من ظهور تفوّقها، فإنَّها بقيت في نظر المجتمع ضعيفةً، وفي حاجة إلى الحماية والرعاية، تقول مريم: «ما هذا يا أبي لم أعهدك إلّا منصفاً مع النساء؟». وأظهرت الكاتبةُ في هذا الباب قدرة الأنثى على التفوّق، وغيرة الذكر الأخ من تفوّقها، واعترافه بذلك، ومن هذه العتبة بشّرت الكاتبة بنبوغ عالمة مشهورة تصل شهرتها الآفاق، حين قصّت رؤياها علينا بأنّها تحوّلت إلى قمر صغير على شكل هلال.

وحاولت ربا شعبان من خلال هذه السيرة الافتراضيّة لمريم الإسطرلابيّة وصفَ بعضِ الجوانب المُعتمة في الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة في القرن الهجري الثالث، وهو عصر الازدهار، فألمحت إلى التنجيم، وهو كما يبدو ظاهرة اجتماعيّة انتشرت في ذلك القرن في الدولة العباسية. وخلقت ربا شعبان في هذا الباب الأسباب التي دفعت مريم إلى اختراع الإسطرلاب، وأعطت لمحةً تاريخيّةً وصفيّةً عن الإسطرلاب، وتقْنيّة الوصف هي واحدة من ضمن التقنيّات الكثيرة التي استخدمتها ربا شعبان لبناء القصة، إلى جانب الحوار، والتصوير، والمونولوج، والقطع الاسترجاعيّ.

وقادت ربا شعبان شخصيّة مريم بفنّيّة عالية، وباستخدام تقنيّة السرد حيناً، والحوار والمونولوج والوصف حيناً آخر، لدخول مريم الحياة العلميّة والاجتماعيّة من أوسع أبوابها، حين حرّكت الحوار لينقل الأخبار عن ذلك، فقد أعطت مريم الإسطرلابية أول دروسها في دار العلوم باقتدارٍ بعد أن وفّر لها أبوها وقار العلم الذي تحمله الحماية والرعاية؛ لتكسرَ الصورة النمطيّة للمرأة، وتصبح حديث أهل بغداد.

واستخدمت ربا في هذا الباب المنولوجَ تقنيّةً سرديّةً تمكّن الشخصيات من الحديث، واختصار الأحداث، وتحريك الزمن، فقد مكّنها من إعطاء توضيح أكثر عن طبيعة المواجهة التي خاضتها مريم، والطريقة التي أعطت بها دروسها، وشدّت إليها العيون، وجذبت القلوب، ونالت الإعجاب والمدح والاستحسان. ومن ذلك حين همس حيّان لنفسه: «أحبُّ الطريقة التي تبدأ بها العرض...». ثم عادت ربا شعبان لتؤكّد كفاح الأنثى الشرقيّة من أجل تأكيد مكانتها في حوار مريم مع أبيها، واستحضارها لقول المتنبي على لسان مريم:

أريــدُ من زمني ذا أن يبلّغَنـي ما ليس يبلغُهُ من نفسهِ الزَّمَنُ.

وقول المتنبي أيضاً على لسان أبي الحسن:

وما التَّأنيثُ لاسمِ الشَّمْسِ عيبُ ولا التَّـذكيـرُ فخـرٌ للهـلالِ

وحاولت الكاتبةُ في «الأحدب (جناح نجاح)» وصف مكانة حلب السياسيّة والعسكريّة، ووصف الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة فيها، وإظهار مكانتها في القرن الثالث الهجري، باستخدام تقنيّات السّرد المختلفة؛ لخلق التشويق وبناء الحدث، وتنويع وسائل العرض والسرد، وهو باب طويل نسجت ربا شعبان حواراته بجماليّة عاليّة ومهارة لافتة، فقد أجرت حواراتٍ كثيرةً بين شخصيّاتٍ كان لها دور في تطوّر أحداث القصة، وخدمة أفكار الكاتبة، كالحوار بين مريم وأخيها، والحوار بين سيف الدولة ومساعده عمار بن محمد، والحوار بين مريم والمتنبي.

وفي هذا الباب نسجت ربا شعبان أحداثاً افتراضيّةً أعطت القصّةَ دفعةً تشويقيّةً ضروريّةً، منها: دخول مريم قصر سيف الدولة قادمةً من بغداد، والتقاؤها بسيف الدولة وأخته خولة والمتنبي، وتحذير المتنبي مريم الإسطرلابية من شرٍّ يُحيط بها؛ لتظهرَ بداية العلامات السوداء في حياتها في القصر.

وقفزت الكاتبة بمريم الإسطرلابية في «تربيع أول نصف القمر» قفزة زمانيّة أخرى، فهي قد صارت محاضرةً في دار العلوم، وظلّ سؤال قدرة الأنوثة حاضراً في هذا الباب، وظهر لأول مرة عنصرٌ مساندٌ للمرأة حامٍ لها، وهو وقار العلم، وفي هذا الباب بعث سيف الدولة في طلبها بعد أن سمع عن قدرتها ومكانتها وأحلامها، ووعدها بتوفير كلّ سبل الراحة لها، وأن يوفّر لها كلّ ما يلزمها، وهو باب استطاعت ربا شعبان الدخول منه إلى عصر المتنبي ومجلس سيف الدولة، وأن تبني حوارات دالّة موجّهة بمهارة وإتقان للإخبار عن انتصار سيف الدولة في معركة الحدث الحمراء، ووصف مجلسه العلميّ والأدبيّ.

وأدخلت في «خسوف جزئيّ (سم ترياق)» عنصراً تشويقيّاً جديداً للقصة، فبيّنت أجزاء الإسطرلاب وصناعته، ثم أعطت نفحةً عاطفيّةً تُطرّي بها النصّ، فجعلت حيّان تلميذَ أبي الحسن يميل إلى مريم، ويُعلن حبَّه لها، ولعلَّ الكاتبة بذلك قد حاولت بثّ دفقة من التشويق بإعطاء القصة بعداً اجتماعيّاً، وهي استخدمت لذلك المنولوج، فكان تِقنيّة سرديّة فاعلة في توضيح المشاعر والمواقف، واختصار الأحداث والأعمال، والانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى.

وظلّت قضية الأنوثة والذكورة حاضرةً في هذا الباب، فبعد أن اعترف أبوها وحبيبها حيّان بتميّزها وهي امرأة، ظلّا يكرّران أنَّها ليست مثل أيّ امرأة. وحرّكت الكاتبة في هذا الباب الأحداث قليلاً لمزيد من التشويق، فبنت قليلاً من الميل بين عمار ومريم الإسطرلابية، وجعلت مريم تطلب من أبيها الحضور إلى حلب، وأجرت حوارات موجّهة للتعريف بالفارابي، وحواراً نفسيّاً (مونولوجاً) عميقاً، وصفت من خلاله بيئة حلب الثقافيّة والعلميّة والأدبيّة.

وأعطت صورةً عن الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والعسكريّة في حلب، فأبو فراس في الأسر، والنساء على نوافذ الانتظار والحرب، والمتنبي في بلاط سيف الدولة، والفارابي الفيلسوف الموسيقيّ المعروف يسكن في قصر سيف الدولة. ودرجت ربا شعبان على تغيير الراوي، فمرّةً هو الكاتبة، ومرّةً هو البطلة، ممّا أعطى القصة دفعاً تشويقيّاً مميّزاً، كما أنّها استخدمت تقنيّة الاستعانة بالشعر، شعر المتنبي وأبي فراس؛ لمزيد من التشويق والإمتاع، واستخدمت تقنيّة الاقتباس والهامش، فاقتبست من أقوال الفارابي، وبنت علاقة مُفترَضة بين المتنبي وخولة أخت سيف الدولة، وأدخلت حدثاً تراجيديّاً دالّاً إلى القصة، وهو سرقة مشروعها بعد أن أتمّته وأكملته، ونسجت علاقة متينة بين خولة ومريم الإسطرلابية.

أمّا في «البدر اكتمال الرؤى»، فعادت ربا شعبان إلى استخدام المونولوج، فهو كان تقنيّتها النافعة في التوضيح والشرح، فقد بدأت الباب بحديثٍ نفسيٍّ عميقٍ، ثم استخدمت تقنيّة القطع الاسترجاعيّ؛ لتُعيد تذكير القارئ بقضية الأنوثة والذكورة، وتؤكّد أنَّ تحقيق المرأة لذاتها سيكون على يدها لا على يد شخص آخر، فهي تذكّرت حديث أبيها: «لستِ كأيِّ امرأة، أنتِ امرأةٌ تسمع صوت الجهات، تقرأ النجوم، تحفظ مواسم المطر والصحو عن ظهر قلب، تُرشد الضالّين، وتقف على خرائط الوقت».

وحاولت ربا شعبان في هذا الباب إمداد القصة بنوع من الحركة الهادئة الهادفة، بإدخال أخبار أبي فراس في الأسر إلى القصة، وحين أفرج عنه، ووصف حبّ خولة للمتنبي، وحزنها لمغادرته قصر سيف الدولة. وحضر سؤال الأنوثة والذكورة في هذا الباب في حديث مريم عن رغبة أمّها في أن تراها أمّاً لها أولاد، ثم وصلت بالقارئ في هذا الباب إلى اختراع الإسطرلاب، وتركها حلب، وزواجها من حيّان.

وفي «خسوف جزئيّ اختصار الضوء» أدخلت ربا شعبان باستخدام الحوار والمونولوج والوصف عناصرَ تشويقيّةً، معتمدةً على الخبر: حمل مريم، وحزنها على موت خولة، وتسمية مريم ابنتها باسم خولة اعترافاً بالفضل والجميل.

واستمرّ الحديث في «أحدب ثاني انتماء للأرض» عن خولة أخت المتنبي، ونسجت فيه ربا شعبان أحداثاً افتراضيّةً كثيرةً لمدّ القصة بالمتعة والتشويق، وجعلها أكثر إقناعاً، منها: تعب مريم من الحمل، كثرة الحاسدين والكاشحين والخرّاصين من حولها، الذين تقوّلوا على عملها واخترعوا الأقاويل.

وظهرت قضية الأنوثة والذكورة بقوةٍ مرةً أخرى في «تربيع ثانٍ انتماء للأرض»، إذ ظهرت الأنثى متمثّلة في شخصية مريم، وهي قادرة على العطاء، محبّة تضحّي بكلّ ما يريحها من أجل أمومتها المنتصرة، فهي رضيت بالأمومة، وتخلّت من أجلها عن أشياء كثيرة تحبّها، كتوقّفها بسبب الأمومة عن إلقاء المحاضرات في دار العلوم وبيت الحكمة.

وتوّجت الكاتبة عمل مريم الإسطرلابية بالإخبار عن نجاح اختراعها وانتشار استخدامه، فهو قد نجح وفاز وتطوّر، وظهرت منه أنواع مختلفة بين أيدي الناس.

وتلاعبت الكاتبةُ بضمير السرد؛ لتعطيَ القصةَ دفعاً تشويقيّاً آخر ومرونةً للحكي في «كسوف الشمس موت ضوء»، فهي ربطت بين عاطفة الفقد الإنسانيّة وعاطفة الفقد الفرديّة، ببناء جمل شعريّة مكثّفة، «ثمّة أقمار وشموس في أعناقنا تنكسف لموت أحدهم». ولعلَّ أنا الكاتبة قد توحّدت بمريم وهي تتحدّث عن أبيها الذي مات في عبارة «لا أحدَ يشبه أبي أو يملأ مكانه».

تحقّقت وصيّة أبيها وحُلمه بأن يرث ثروته العظيمة من يستحقّها في «الهلال الظلام يتمدّد»، فقد ورثت مريم الإسطرلابيّة كتبَ أبيها، وضمّتها إلى مكتبتها، وبدا الفصل بعيداً عن السرد، فهو تعداد مباشر لإنجازات مريم الإسطرلابيّة وكتبها، وفيه سردٌ خالٍ من اللغة الأدبيّة العالية، واقتراب من اللغة الإخباريّة التي حملت أخبارَ موت سيف الدولة، وتلميحاً إلى ما حلّ ببغداد على يد المغول، وعودة مريم إلى دار العلوم ودار الحكمة، لكنَّ ربا شعبان في هذا الفصل لم تعمل تضادّاً بين الأنوثة والذكورة، وإنّما حاولت أن تصلح ما بينهما، فهي تقول على لسان مريم: «مخطئ من يقول إنَّ الأنوثة والذكورة ضدّان».

وفي «المحاق نهاية المعركة» كان النهاية العالية لمريم الإسطرلابية، فأعادت ربا شعبان الحوار الذي جرى بين مريم وأبيها على لسان خولة وأبيها مستخدمين الجمل نفسها، في إيحاء لطيف بأنَّ مريم المرأة الناجحة المتفوّقة لم تمت، فقد ورّثت صفاتِها لابنتها خولة، «الحياة يا ابنتي لا تُظهر لنا وجهها كاملاً».

وأمّا «كويكبات مريم الإسطرلابية»، فهي باب خارج عن السرديّة القصصيّة؛ لأنَّ قصة مريم انتهت بحوار الأب مع ابنته خولة، وإنّما هو باب فضلى ذكرت فيه ربا شعبان باستخدام الحوار الإخباريّ الجافّ احتفاءَ «هنري هولت» العالم الأمريكيّ بفضل مريم الإسطرلابية، بتسميته مجموعةً من الكويكبات المكتشفة من مرصد بالومار الأمريكيّ باسمها.

وأكّدت ربا شعبان «رؤية من وحي الإسطرلابية»، احتفاء الغرب بمريم الإسطرلابية في رواية «أنا وابنتي» لـ«تيدي ألغور». وظهرت قضية الأنوثة أو النسويّة في باب «طوبى للنساء»، الذي أكّدت فيه ربا قدرة المرأة العربيّة وتميّزها إذا ما لاقت الاهتمام والتقدير.

لقد نسجت ربا شعبان في قصّتها الطويلة عن مريم الإسطرلابيّة حواراتٍ كاشفةً سابرةً الحياة الاجتماعيّة والعلميّة والثقافيّة، والعسكريّة والسياسيّة في القرن الثالث الهجريّ، واستطاعت أن تجعل المتلقّي يعيش في ذلك العصر بسلام وهدوء؛ لتتبع أحداث قصتها بناء على ما توافر بين يديها من معلومات وأخبار.

واستخدمت ربا شعبان في قصتها هذه لغةً مناسبةً للفئة التي تخاطبها، مع فلتات من الشعريّة العالية واللغة القويّة المكثّفة التي لم تؤثّر في توصيل الرسالة للقارئ، وقد بنت قصتها وفق التسلسل الزمنيّ الصاعد، لكنّها كانت تستخدم تقنيات القطع الاسترجاعيّ والمنولوج والحوار لإيصال الفكرة.

وبنت حواراتها بناءً على ما توافر لديها من أخبار أدبيّة وتاريخيّة، ثم نوّعت في ضمير الراوي، ونوّعت في تقنيّات السرد؛ لجعل القصة أكثر إقناعاً وتشويقاً، ونجحت في استخدام معجم شعريّ مناسب للفئة العمريّة التي تخاطبها، كما أنّها نجحت في بناء نسيج سرديّ مُفترَض لسيرة حياة مريم الإسطرلابيّة، ممّا يبشّر بمزيد من القصص عن أبطالنا وعلمائنا وفلاسفتنا؛ باستخدام التقنيّات السرديّة نفسها واللغة الهادئة نفسها.

لوحة الفنان محمود أسعد/ الأردن

أدبُ الشّباب في تونس..
الرّاهنُ القلِقُ والرّهانات الواجبة

لطفي الشابي

لوحة الفنان نجيب بلخوجة/ تونس

أدبُ الشّباب في تونس..
الرّاهنُ القلِقُ والرّهانات الواجبة

لطفي الشابي

لنتّفقْ منذُ البَدءِ أنّنا حين نتحدّث عن أدب الشّباب، نكون أمام فئة عمريّة قد انتبهت إلى شغفها بالكتابة، وقد قطعَتْ أولى خطواتها على درب النّشاط الفعليّ، مهما كان مستواه، وأنتجَتْ نصوصها التي تدلّ مهما كانت درجة جماليّتها على شغف ما، وعلى رغبة بيّنة في الانتماء إلى هذا المدار الوجوديّ المُبهر والصّعب في آنٍ معاً.

نحن إذن بصدد الحديث عن واقع الكتابة الأدبيّة، على اختلاف أجناسها، عند الشّباب من خلال النّظر في نماذج من هذا الأدب، والوقوف على خصائصه التي تُنبئ بأدب جيّد له مضامينه التي تعكس نظرة الشّباب إلى ذواتهم وإلى علاقتهم بالواقع الذي يتحرّكون فيه ويتعاملون معه، وله أيضاً نقائصه التي سنحاول أن نتبيّنَ أسبابها ونتعرّفَ على سُبل تجاوزها.

فما الدّاعي إلى الاهتمام بأدب الشّباب، ومحاولة الوقوف إلى جانب الكتّاب الشبّان، ودعم محاولاتهم في البحث عن ذواتهم ومكانتهم في الوجود من خلال الكتابة؟ وما الذي يُميّز هذا الأدب في هذا الوقت المتغيّر وذي النّسق الحياتيّ المتسارع في كلّ مجالٍ من مجالات الحياة؟ وما الأفق المُمكن الذي ينبغي أن ننتبهَ إليه ونعملَ على توفير كلّ أسباب بلوغه؟

لوحة الفنان علي الزنايدي/ تونس

في أهميّة الأدب وحيويّته:

عَرَفَتِ البشريّةُ منذ قديم العهود اهتماماً بالغاً بالذات الإنسانيّة، وهو اهتمام تركّزَ على مرّ العصور، وترسّخ بتطوير مجالات تهذيب النّفس البشريّة وتقويمها، وتزويدها بما تحتاج إليه من معرفة ترتقي بها إلى المرتبة التي تليق بها النّفس البشريّة. وكان في كلّ زمن، ومع كلّ حضارة، معلّمون يحرّضون على تعلّم الأدب، ويُغرون بتطوير أساليب التعلّم والممارسة منذ سنوات النّشأة الأولى للأفراد.

ويجدر الإقرار هنا بأنّ التّركيز على تعلّم مهارات الكتابة، والتي تكون في الغالب متوازية مع نشاط القراءة، كلّما كان هذا التعلّم في سنّ مبكّرة، كان ذلك أضمنَ لتحقيق نتائج أفضل، وإدراك مستوى أرقى، لهذا برزت في العصور الحديثة حركةٌ أدبيّةٌ وجَّهَتْ جهودها إلى تأسيس أدب خاصٍّ بالطفل، له قواعده وأساليبه وفنّيَّاتُهُ، وكانَ من رُوَّادها شعراءُ وأدباءُ وفلاسفة ومفكّرون، أثرَوا المكتباتِ بنصوصٍ موجّهةٍ للنّاشئين، تُراعي مُستواهم العلميّ، وتتماشى مع مُتطلّباتهم الثقافيّة والتربويّة، وتغريهم بفعل الكتابة وعوالمها.

وكان من ثمار هذه الحركة التّنويريّة أن ظهرت أجيالٌ حديث التّكوين، وتمكّنت في ظرف وجيز من كتابة أدب إنسانيّ عظيم، ما زلنا ننظر فيه إلى اليوم، وننبهر بدرجة جماليّته العالية وعمق أفكاره، واتّساع منظوره وشموليّة مقارباته.

ولنا في كلّ بلاد عربيّة تقريباً جيل جديد مُجدِّد من الأدباء والمفكّرين والشّعراء، وأنتجوا نصوصاً رائدة تمكّنت في حيّز زمنيّ وجيز من تحقيق ثورة اجتماعيّة وقيميّة وفكريّة، رغم صغر سنّ روّاد هذه الحركة الأدبيّة الجديدة.

هكذا يُمكن أن نسلّم إذن بأنّ كلّ ارتقاء بالإنسان، والمجتمعات بالتّبعيّة البديهيّة، إنّما ينبغي أن يكون ثمرة محاولة الارتقاء بمناهج التّكوين الأدبيّ، والمراهنة على جعل الإنسان ينهل في فترات تحصيله الأولى من هذا المنهل الغنيّ بكلّ ما يستحقّه

الإنسان من عوامل نضجه وتوازنه، وانفتاح أفقه على قيم الوجود الحقيقيّة وفضائله.

أدبُ الشَّبابِ الراهنُ في تونس: الخصائص والنّقائص.

إنَّ المتأمّل في النّصوص الأدبيّة الصّادرة في السّنوات الأخيرة للشّباب التّونسيّين، ينتبه إلى أنّ هذا النّوع من الأدب يختصّ بمجموعة من الظّواهر لا بدّ من الوقوف عندها؛ لنتعرّف على حقيقة هذا الأدب، ونتبيّن خصائصه، ونتعرّف على نقائصه.

فمن جهة الكمّ، يمكن أن نلاحظ بوضوح أنّ عدد الإصدارات الشّبابيّة في نسق تصاعديّ لافت، ورغم أنّنا لا نتوفّر على إحصائيّات دقيقة وأرقام واضحة، فإنّ واجهات المكتبات وصفحات التّواصل الاجتماعيّة، تُنبِئنا بالعدد الكبير الذي يخرج من المطابع في كلّ عام لكتّاب شباب، وفي مختلف الأجناس الأدبيّة.

هذه ظاهرة صحّيّة في حدّ ذاتها، ومؤشّر إيجابيّ على حركة أدبيّة ناشئة ونشطة، ولكن هل يكفي تنامي ظاهرة النّشر الورقيّ؛ لنقولَ إنّنا نعيش ازدهاراً حقيقيّاً في الكتابة الأدبيّة النّاشئة؟ هل يكفي أن ينسب كاتب شابّ إلى ذاته صفة الشّاعر أو القاصّ أو الرّوائيّ حتّى يكون كذلك فعلاً؟ هل يكفي أن تحظى نصوصه الّتي ينشرها على صفحات التّواصل الاجتماعيّ بعدد كبير من الآراء المجامِلة والانطباعات المُتملّقة، حتّى نعتبرها فعلاً نصوصا أدبيّة جديرة بأن تُعَدَّ ضمن الأدب الجيّد؟

إنّ النّظر المتأنّي في هذه النّصوص المنشورة (ورقيّاً أو إلكترونيّاً) يوقفنا على الكثير من الهنات والنّقائص التي تُلغي عن النصّ انتماءه إلى جنسه، وبالتّالي تحجب عن صاحبه الصّفة النّي يدّعيها، فمن حيثُ اللّغةُ لا تخلو النّصوص التي تقرأ لهؤلاء الشبّان من أخطاء تركيبيّة تعبيريّة ونحويّة غير مقبولة، وتُسيء إلى النصّ وإلى اللّغة التي كُتِبَ بها، وهذا من أكثر النّقائص شيوعاً في الأدب الذي يُكتَبُ اليوم.

أمّا من حيث الأسلوب وقواعد الكتابة حسب الجنس الذي يختاره الكاتب، فننتبه إلى أنّ أغلبَ النّصوص الصّادرة في السّنوات الأخيرة، تفتقر إلى تمييز دقيق بين الأجناس الأدبيّة والفوارق بين الأنماط التي تتداخل في النصّ الواحد أحياناً، بلهَ تداخلها داخل المؤلّف الواحد.

ففي الشّعر مثلاً نجد الكثير من الشّعراء الذين يكتبون نصوصاً بلا هُويّة أجناسيّة، وبلا تمييز بين العموديّ وما يوجبه من صرامة التزام الشّرط العروضيّ، وبين التّفعيلة وما تلزم به الشّاعر من سلامة السّطر الشّعريّ من حيث بنيته الإيقاعيّة، أمّا من يهرب من الشّعراء الشبّان من قيود العروض والتّفعيلة، فيكتبُ ما يُطلَقُ عليه «قصيدة النّثر»، فإنّه يقع في خلط من نوع آخر، مردّه عدم الإلمام بقواعد هذا النّمط الشّعريّ وشروطه، فتراه يلتزم التّقفية أحياناً، أو يكتبُ أسطراً موزونةً أحياناً أخرى.

إنّ هذه الظّواهر متكرّرة كثيراً في الأدب الشّبابيّ الذي يصدر الآن في تونس، ولكنّ هل كلّ ما يصدر يدلّ على هذا النّقصان والخلل؟ ألا نجد في المؤلّفات الشّبابيّة الجديدة نصوصاً تُبشّر بأنّنا إزاء جيل جديد من الأدباء الواعدين المُتمكّنين من آليّات الكتابة ومن تِقْنيّاتها، والمُعبّرين بكلّ وضوح عن رؤية جديدة وتصوّر مختلف للأدب ولفعل الكتابة؟

ما يُميّز نصوص فئة قليلة من الكتّاب الشّبان في تونس، أنّها نصوص كُتبت بروح وقتِها، وبلغة عصرها، وبمضمون متناغم خاصّ من زمنها. عندما أقرأ بعض النّصوص الشّعريّة لجيل جديد من الكتّاب، أشعر بأنّ هناك روحاً جديدةً تختزل أرواح هذا الجيل الجديد من الشّباب، الذي وُلد في زمن ملتبس ومرتبك وغائم.

والمهمّ في هذا الانطباع هو أنّ هناك عدداً من الكتّاب النّاشئين قد انتبهوا إلى أنَّ شرط الأدب أن يكون مواكباً لبيئته بكلّ ما فيها من قلق ومن تطلّعات ومن عقبات، هكذا كان شأن الأدب الحيّ دائماً في كلّ عصر.

وإذا كان الكاتبُ الشّابُّ اليومَ ينتبه إلى هذا الشّرط، ويُحاول الالتزام به في كتابته، فإنَّ ذلك يدفعنا إلى التّساؤل

عـن المسـالك التّـي اتّبعهـا هـذا الكاتـب الشّـاب، أو عـن القـدر الـذي وضعـه في طريـقٍ تجعلـه يهتـدي إلـى مثل هـذه الدّقائـق المتعلّقـة بالكتابـة الأدبيّـة، ويحـاول التـدرّب عليهـا والوفـاء لهـا.

مـن خـلال علاقتـي ببعـض الكتّـاب النّاشـئين، كوّنـتُ فكـرة دقيقـة عـن المسـار الـذي قطعـوه، والعوامـل التـي سـاعدتهم على أن يكونـوا، وهـم في هـذه السـنّ المبكّـرة، كتّابـاً قادريـن على نحـت مسـيرة أدبيّـة حقيقيّـة ومؤثّـرة، وقابلـة للبقـاء.

أوّل هـذه العوامـل نشـأتهم في بيـتٍ يوفّـر الكتـابَ، ويغـري بالقـراءة والتمكّـن مـن اللغـة السّـليمة في سـنوات الطّفولـة الأولـى، الإغـراء بالحكايـات والمواظبـة علـى سـماع الخرافـات والحكايـات الشـفويّة في سـنوات مـا قبـل التعلّـم، ثـمّ القـراءة الجماعيّـة والتّشـاركيّة، هـي مـن أهـمّ عوامـل توسـيع الأفـق الذّهنـيّ للطّفـل، وفي نفـس الوقـت تطويـر ملكـة التخيّـل، مـع تمكينـه مـن حـسّ لغـويّ سـليم.

فـإذا تحقّـق للطّفـل هـذا التّكويـن المبدئـيّ الضّـروريّ، كان ذلـك بمثابـة المُحفّـز التّلقائـيّ لـه على الاسـتمرار في طلب المزيـد مـن المعرفـة، بالتّعويـل علـى مجهـوده القرائـيّ، وذائقتـه التـي تقـوده تدريجيّـاً، ومـع تطـوّر بنيتـه النّفسـيّة والفيزيولوجيّـة والعقليّـة، إلـى تنويـع المعـارف التـي يحتاجهـا.

ولعلّ المدرسـة تُسـاهم بدورهـا في تنميـة هـذا الرّصيـد المعـرفيّ إذا وجـد الشّـابّ معلّمـاً فطنـاً أو أسـتاذاً ذكيّـاً ملتزمـاً بجوهـر العمليّـة التّربويّـة ومقاصدهـا، أمّـا إذا اسـتعذب الكاتـب النّاشـئ هـذا المـدار المغـري، ورام أن يدخلَـهُ ويُقيـمَ فيـه، فـإنّ نـواديَ الأدب ومهرجاناتِـه، ومـا توفّـره مـن سـماع ومخالطـة، ومـن مسـابقات، سـتكون المسـلك الأخيـر الـذي يمكـن أن يُمـتِّنَ فيـه الكاتـب الشّـابّ تِقنيّـات الكتابـة، ويقـوّي عزمـه علـى أن يكـون كاتبـاً حقيقيّـاً.

لماذا أكتب؟ ماذا أكتب؟ وكيف أكتب؟ ثلاثة أسئلة حيويّة من أجل أدب حقيقيّ

هـذا الثّالـوث مـن الأسـئلة يُحـدّد بشـكل كبيـر المفهـوم الحقيقـيّ لـلأدب عامّـة، ولأدب المبتدئـين علـى وجـه الخصـوص، ذلـك أنّ الوعـي بالحاجـة إلـى الكتابـة وبالغايـة منهـا، وبكيفيّاتهـا، أهـمّ مـن الكتابـة في حـدّ ذاتهـا؛ لأنَّ هـذا الوعـي هـو الـذي يُنتـج أدبـاً حقيقيّـاً.

لماذا أكتب؟

أوّل سـؤال يجـب أن يطرحـه كلّ كاتـب علـى نفسـه، فالحاجـة إلـى الكتابـة هـي التـي تهـدي الكتابـة وتُـغذّيها، وتعمـل علـى تطويرهـا وتهذيبهـا، وتوجيههـا إلـى المسـلك المناسـب لتحقيـق الغايـة منهـا. في واقعنـا اليـوم، صـارت الكتابـةُ أداةً مـن أدوات تجميـل الذّات، والمفاخـرة، وادّعـاء الثقافـة، والقـدرة علـى إنتـاج المعنـى، والارتقـاء إلـى مصـافّ النّخبـة والمفكّريـن والحكمـاء.

إذا كان الهـدف مـن الكتابـة اكتسـاب شـهرة واهيـة، أو تحصيـل نفـع مـاديّ أو معنـويّ حقيـر، فـلا يمكـن أن تكـون كاتبـاً بالمعنـى الحقيقـيّ للكتابـة، الكتابـةُ شـرطُ وجـودٍ، وطريقـةٌ للتّـداوي الذّاتـيّ مـن آفـات الوجـود، الكتابـةُ مسـلكٌ إلـى الـذّات، فهمـاً وتفهّمـاً، ومعاشـرةً وقبـولاً، وتعديـلاً وتهذيبـاً وتثقيفـاً، الكتابـةُ سـعيٌ إلـى نحـتِ الكيـان وتأصيلـه، مثابـرةٌ علـى الطّلـب دون سـأم، وبحـثٌ عـن الآخـر فينـا، ومحاورتـه مـن أجـل عهـد سـلام معـه.

إنّ سـؤال الكتابـة أهـمّ مرحلـة ينبغـي علـى الكاتـب النّاشـئ أن يطرحـه مـع نفسـه، ولـه طبعـاً في كتـب السّـير الذّاتيّـة لكبـار أعـلام الأدب، مـا يجعلـه يعـرف دواعـي الكتابـة عنـده ووجـوه الحاجـة إليهـا.

ماذا أكتب؟

قـد لا يكـون هـذا السّـؤال مهمّـاً حـين تسـتقرّ في ذات الكاتـب الشّـاب دواعـي الكتابـة، ذلـك أنّ الوعـي بالحاجـة إلـى الكتابـة سـيفضي بالضّـرورة إلـى مضامينهـا وشـواغلها، سـيكتشـف الكاتـب أنّـه مدفـوعٌ برغبـة خفيّـة مِلحاحـة إلـى أن يكتـب حياتـه، ويرسـم مسـاراتها، وأنّـه سـوف يكتفـي بعـد كلّ مرحلـة مـن مراحـل معاشـرته للكتابـة بـأن يعيـش مـا كان قـد كتبَـه سـابقاً، باعتبـاره محلومـاً بـه مطلوبـاً.

على الكاتب ألّا يطلب غير ما يرى بعين بصيرته، وعليه أيضاً أن يكون على وعي بأنّ ما يراه لا يعني شخصاً غيره، ولا يُقاس بأيّ مكسب ماديّ أو غنيمة، هكذا ربّما سينجو من القلق على ما يحلم به. على الكاتب أيضاً أن يحلمَ بوطن أكبر، يعرف كيف يستخلص من العواصف دروسها، ومن الأعاصير وصاياها، ومن البراكين والزلازل ما يجعله بمنأى عن البراكين والزلازل القادمة، عليه أن يحلم بوطن يعرف كيف يصون ذاكرته؛ حتّى لا يقتل عشّاقه ويفتح أحضانه لقاتليه.

وعلى المستوى الكونيّ فعليه أن يحلم بخلاص نهائيّ من هذا الوله القاتل بكلّ «قبيح وجهه حسن»، والذي نسمّيه «حضارة». عليه أن يحلم بأنّ يكفّ هذا الغول الذي يسمّونه رأس المال عن افتراس البشر؛ لأنّه لا يفترس في الحقيقة إلاّ نفسه.

إذا انتبه الكاتب الشّاب إلى هذه المضامين التي عليه أن يكتبَها، سيكتبُ أدباً عظيماً، وسيضمن بذلك الأدب مكسباً لا يمكن أن يُقدّر بثمن ماديّ يفنى.

كيف أكتب؟

لا يهمّ الشكل الأدبيّ كثيراً ما دامت الرّغبة في الكتابة قائمة، وما دامت دواعيها واضحة ومضامينها معلومة. الوسيط الذي ينقل الفكرة والمعنى والقيمة قد يكون شعراً، أو مسرحاً، أو قصّةً أو روايةً، ومهما تباينت هذه الأشكال والأجناس، فإنّها ترمي إلى نفس الغاية.

على الكاتب الشّابّ أن يختار الشّكل الذي يناسبه، ولكن عليه، وهذا هو الأهمّ، إذا اختار جنساً أدبيّاً ما، أن يتمكّن من تِقنيّاته، ويستعملها بوعي العالم المتمكّن.

إنَّ الأدب صناعة، والصّناعة تستدعي معرفةً وتدريباً، ومواظبة على امتلاك أدواتها وتقنيّاتها، ولا بدّ لهذه الصّناعة من معلّم، ومن مادّة خام، ومن مناهج واعية ومعرفة نظريّة وتطبيقيّة مجرّبة. وعلى كلّ أمّة تريد أن يكون لها حضور في هذا العالم الحيّ، أن تعمل على وضع برامج علميّة من أجل جيل جديد من الأدباء صالح لهذا الزّمن الجديد.

لوحة الفنان محمد مرزوق/ تونس

لوحة الفنان الطاهر عويدة/ تونس

إربد.. لوحةُ البساطةِ العميقةِ

مها الطاهات

إربد.. لوحةُ البساطةِ العميقةِ

مها الطاهات

إنَّها إحدى أقدم المدن الأردنيّة، وواحدةٌ من أكبر المراكز الفنّيّة والتاريخيّة المهمّة في الأردن، لها تاريخٌ غنيٌّ وإرثٌ فنّيٌّ متنوِّعٌ، يمتدُّ عبر العصور الرومانيّة والبابليّة القديمة. مدينةٌ خضراءُ، تقع هناك في الشمال المُترع بالأغنيات، والقصائد، وحكايات القرى الجميلة.

أشعرُ بالزهو بأنّي ابنةُ مدينةٍ لها علاقة وثقى بالفنّ، فقد كان لروحها أثرٌ في تشكيل روحي الفنّيّة، إذ عبّدت لي طرقاً نحو ماضيها، وجعلتني أعودُ من تلك الرحلات الغنيّة بموضوعاتٍ للوحاتي وقطعي الخزفيّة.

هذه إحدى عادات المدن التي يسعى خصبها نحو النماء، فالحاضرُ فيه التفاتةٌ نحو الماضي، والتاريخ يدٌ تشير إلى الحاضر، فكان لي فكرة في اللوحة عن مدينة تتآلف فصولها لأجل أغنيات الشمال الجميلة، ويتآلف ليلها ونهارها لأجل ما وراء اللون في اللوحة، فتكون القصيدة اللوحة، واللوحة القصيدة.

في البدء كنتُ أرى.. أرى الناس، والأشجار، والطيور، والبيوت، أرى الشمس حين تُعلن عن نهاراتنا، وأراها حين تُعلن عن الليل، أرى الناس حين يتزوّجون، وأراهم حين يرحلون.

في البدء كنت أرى، ومن ثَمَّ رسمت، كانت خربشات أولى، ومن ثَمَّ صار عندي شيء من الجرأة على اللوحة التي أسعى لامتلاك كامل جرأتي في التعامل معها، هل كان لي أن أفعل ذلك لولا مكاني؟ لولا هذه المدينة الريفيّة؟ هل هناك من مدينة عريقة لا تُعدي أبناءها بجمالها؟

لقد فعلَتْ بي إربدُ ذلك، فصارت لي مساحةٌ في اللوحة، وفي الجداريّات، وفي القطع الفنّيّة، لقد أصابتني بهوس اقتناص الجمال، وما وراء ما نرى.

صارت هذه المدينةُ – التي لم تغفل عن جمالها – مصدري في الحياة، طبيعتها، أناسها، فنّانوها، أساتذتها الذين خبروا مكان الضوء فيها. كانت أغلب لوحاتي الفنّيّة مزيجاً من القديم وقسوة الواقع، وجمال العادات، وما يبدو من المدينة في صباحاتها ومساءاتها الاستثنائيّة.

إنَّها مدينةٌ بكرٌ لا صخبَ فيها إلا للطبيعة، وإيقاعُ الإنسانِ فيها حيويٌّ، يتمثّل في الأشجار، في حركتها النشطة، في المدن الغنيّة بأناسها وطبيعتها، بحاضرها وتاريخها، يولد الإنسان فيها فنّاناً، يولد بذاكرة بصريّة غنيّة.

في إربد يتقاطع الريف بالمدينة، مزيجٌ قلّما يحدث في المدن، يتقاطع هذا الوعي حتى في لوحات فنّانيها، إنَّها مدينةٌ أغنياتُها شجيّة، وموسيقاها قادرة على أن تشرح لك معنىَ الحياة الأصيل، إنَّه معنى بسيط، لكنّه في غاية العمق.

#IRBID
شركة ZAIN

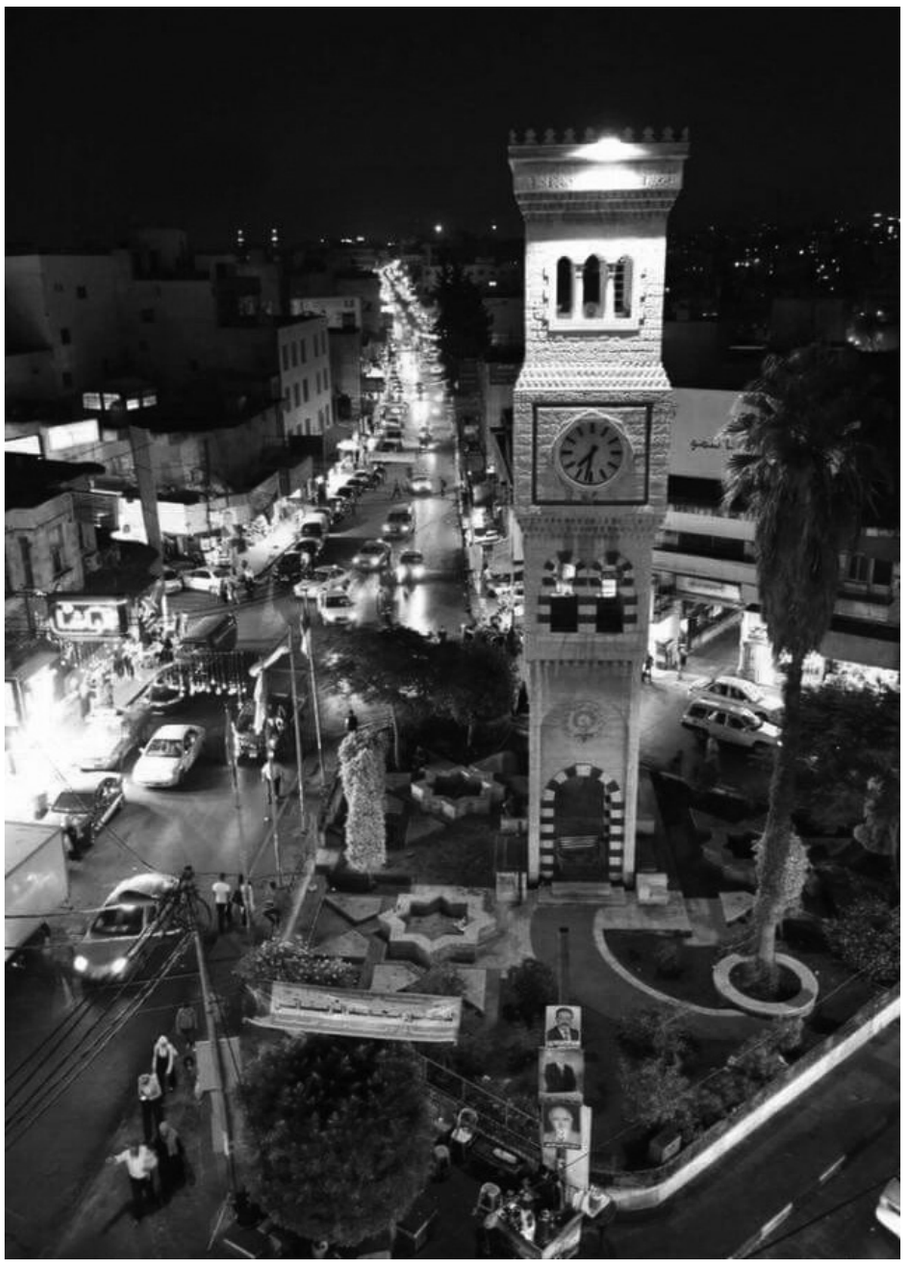

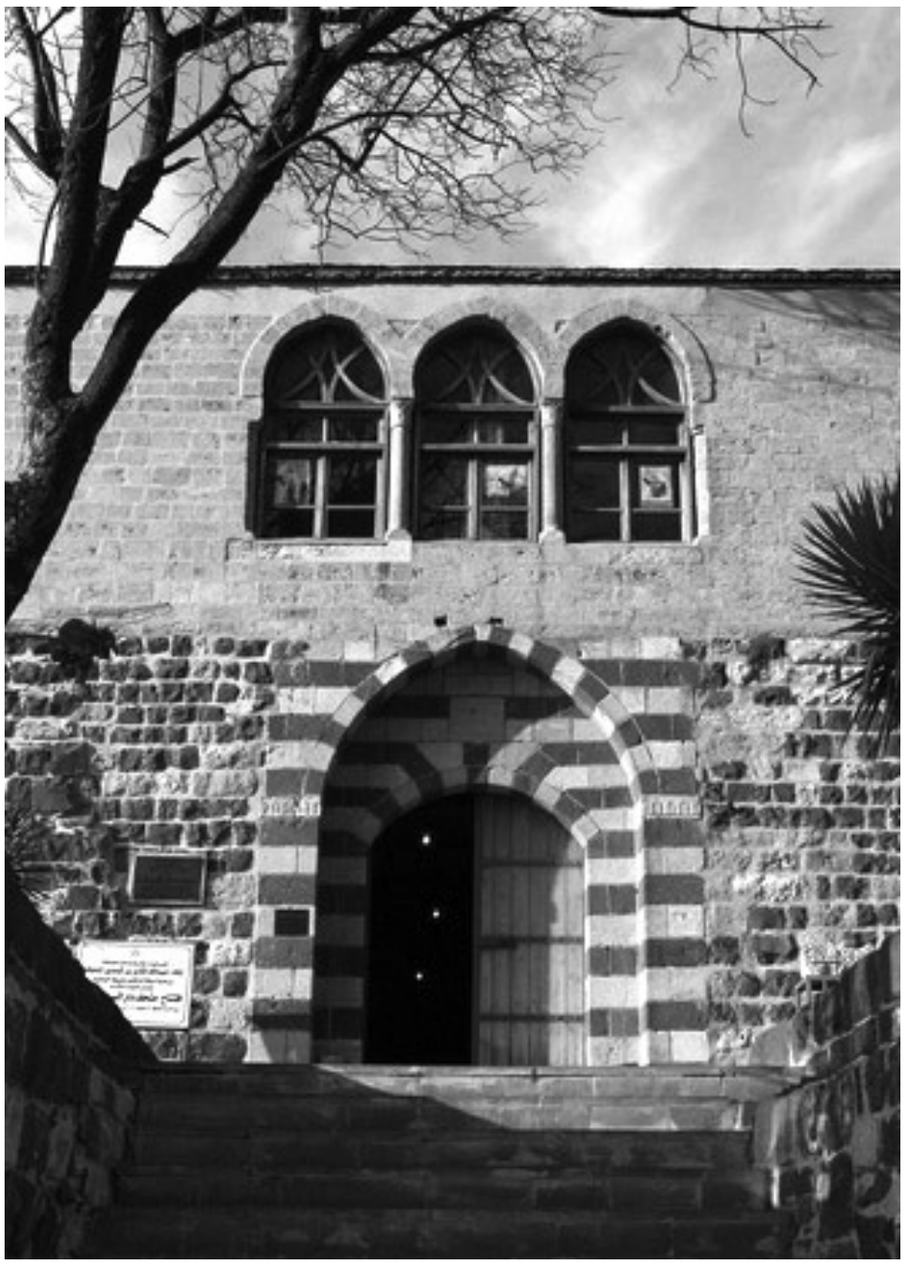

حروفية الفنان خليل الكوفحي/ الأردن